

كيفه تصوير الألوان مرعبة أو - على اقل تقدير -
ليست كما وجدت في خيالات طفولتنا..

Looloo

www.dvd4arab.com

قوس قزح



د. أحمد خالد توفيق
د. تامر إبراهيم

قوس قزح

أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر.. أزرق.. نيلي.. بنفسجي..
إنه قوس قزح..

لا حقائق ولا مسلمات.. إنما هو الضوء يمارس خدعته السرمدية في
شبهات عيوننا..

الأبيض لا وجود له؛ بل هو سبعة الألوان وقد جاءت معاً.. الأسود لا
وجود له؛ إنما هو سبعة الألوان وقد غابت معاً..

تدنو من الشيء أو الشخص أو الحقيقة؛ فتدرك أنه ليس واحداً.. وأن
التجاسس المزعوم وهم.. هناك حقيقتان.. ثلاث حقائق.. ربما سبع.. ربما لا
حقيقة على الإطلاق..

أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر.. أزرق.. نيلي.. بنفسجي..
إنه قوس قزح..

الهواء مبتل قشيب اغتسل بالأمطار لونه، وعند طرف قوس قزح تجد
قدر الذهب الذي دفنه القزم.. كذا قالوا في الأساطير.. تجد السعادة.. تجد
الحقيقة..

أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر.. أزرق.. نيلي.. بنفسجي..
اليوم نحكي لك كيف أن قوس القزح قد يكون عبقاً..
كيف تصير الألوان مربعة أو -على أقل تقدير- ليست كما وجدت
في خيالات طفولتنا..

أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر.. أزرق.. نيلي.. بنفسجي..
قوس قزح..

وسبع قصص نحكي عن الألوان..

سبع حكايات عن قوس قزح..

كانت الفكرة والمقدمة للدكتور (أحمد خالد توفيق).. وبعد هذا اختار
أحد المؤلفين أن يكتب عن ثلاثة ألوان واختار الآخر أربعة.
فمن اختار ماذا؟..

ستترك السؤال معلقاً.. فهل نجيب عنه أنت؟..

...

د. أحمد خالد توفيق

د. تامر إبراهيم

اد

احمد

يقول السيد (منير) وهو يلفظ الدخان من غليونه:

"اللون الأحمر يا بني هو أهم ألوان الطيف وأكثرها عمقا وتأثيرا.. إنه لون الدم.. لون الحب.. لون الزهور.. لون الفجر والغروب.. والأهم من هذا كله أنه لوهم!!"



وكان المقطم هو المكان الأمثل لما انتربنا فعله..

دائما ما تصلح فيلات المقطم في تنفيذ أي منطط.. وهذه قاعدة مطلقة..

لا بد أن يستسخوا البشر ويصنعوا المعدرات ويأكلوا الموتى ويشربوا الدماء في هذه الفيلات..

على كل حال أنا ذاهب لما هو أسوأ..!!

السيد (منير) هو من أيقظني ليخبرني أنها الليلة الموعودة، فلم أكد أصدق نفسي وأنا أقفز في سيارتي لأنتقل إلى هنا.. إنها الليلة الموعودة، ولكم طال الانتظار..

أوقفت سيارتي أمام تلك الفيلا التي تبدو مهجورة لمن يراها من الخارج، وجلست لحظة لأملأ جسدي بدفء السيارة، قبل أن أخرج إلى حيث تضربني الرياح بلا هوادة، بأسهم من الثلج..

ومن حقبة السيارة أخرجت تلك الحقبة الجلدية الضخمة، لأحلبها بنوع من المشقة متجهًا إلى مدخل القلعة..

إنني أتذكر.. ثلاث طُرقات ثم طُرقتين متباعدتين، ثم هأنذا أنتظر حتى يفتح الباب، ليستقبلني السيد (منير) بدخان غليونه..

أنا لم أر هذا الرجل إلا وهو يدخن الغليون، وإنني لأساءل عن الكيفية التي يبقى معها غليونه مشتعلاً طيلة الوقت.. أحياناً أشعر أنه ينفث لها من فمه في هذا الغليون!

كان عملياً كدأبي به، فاستقبلني قائلاً:

- "هل أحضرت المطلوب؟"

دققت على حقبي الجلدية، وأنا أومئ برأسي إيجاباً، فأفصح لي الطريق، لأعود إلى دفة الأماكن المغلقة.. وفي الداخل كان الباقون في انتظارى..

السيد (علاء) بهامته الضئيلة وجسده المكتنز، والسيد (رضا) بنظراته العصبية المتوترة، والسيد (فهمي) بملاحمه الأرستقراطية الجامدة..

حيوني بمز الرأس، فالتحذت مكاني جوارهم، حتى أتى السيد (منير) وهو يمرر أصابعه في خصلات شعره الأشيب، ليقول بذات العملية والغليون مدلى من فمه:

- "سيباً حالاً، لذا على من يريد التراجع أن يُفْلِمنا من الآن.."
لم يتلق ردًا، ففتت المزبد من الدخان وانجه إلى باب إحدى الغرف، قائلاً بحياذبة:

- "اتبعوني رجاءً.."

وهكذا تبعناه صاغرين إلى الغرفة التي لم نكد نراها، حتى بدت الدهشة في ملامحنا، وإن لم يجرؤ أحدنا على النطق بحرف..

على الأرض رُسيت النجمة الخماسية الشهيرة، وقد استقرت خمسة مقاعد عند أطراف النجمة، بينما استقر ذلك الشيء عند مركز الدائرة، لشعر أنه يحتم على صدورنا بلا رحمة..

أقول هذا الشيء لأننا لم نعرف له اسمًا وإن كنا قد اتفقنا فيما بيننا على تسميته (لوح الحقيقة)..

كان يبدو كلوح حجري مصمت، استقرت في طرفه بلورة زجاجية شديدة الشفافية، وعلى اللوح نفسه خُفِر فراغ لا يحتاج المرء لأن يكون خبيراً، ليعرف أنه مصمم بحيث يستلقي جسدي في هذا التجويف.. جسدي آدمي!..

استقر (فهمي) و(رضا) و(علاء) في مقاعدهم وملاحظتهم تنضح بالانفعال، بينما ظللت أنا واقفاً حاملاً حقبي الضخمة، منتظراً إشارة السيد (منير)

الذي أومأ لي برأسه موافقاً، فوضعت الحقيبة على الأرض بحرص، ونزلت على ركبتي لأصحبها..

واستقبلني ثلاث شهقات من السادة الجالسين، وأنا أخرج من الحقيبة جسد ذلك الطفل، الذي بدا واضحاً من شعوب جسده، وتلك الدماء الجافة على رأسه؛ أنه مات منذ زمن، وأن جسده كانت محفوظة لفترة طويلة، بما حال أن تبدأ في التحلل..

وحده السيد (مير) الذي ظلت ملامحه جامدة وأنا أسجي الجسد الطويل في التجويف، قبل أن ألتزم مقعدي عند أحد أطراف النجمة الحماسية، تلاحقني نظرات السادة الجالسين غير المصدقة..

وبتؤدة جلس السيد (مير)، وظل صامتاً لدقيقة كاملة، كأنما يمنحنا الفرصة لتسعد، قبل أن يبدأ في نفث الدخان والكلام في وجوهنا: - "أنتم تعرفون ما نحن مقدمون عليه أيها السادة، لكن دعوني أتعش ذاكرتكم.. نحن هنا لنستخدم لوح الحقيقة، الذي ظل لغزاً لكل الباحثين والمؤرخين على مر الزمان.."

كنت أعرف ما سيقوله بالضبط، لذا غبت في حالة الشرود، وعيناي معلقتان على جنة الطفل الساكنة، والتي لولا الدماء الجافة التي غطت وجهه، لظننت أنه نائم ومستيقظ في أية لحظة..

لكنه لن يستيقظ..

أنا أعرف هذا وأثق فيه بحكم كوني طبيباً.. حادث سيارة أدى إلى شرح في الجمعية وقتك في خلايا المخ.. موت سريع لكنه غير نظيف، مع كل الدماء التي فقدتها الطفل، ووالداه المذعوران بحملاته إلى المستشفى، علماً نحن الأطباء نأني بمعجزة ما، تعيد الحياة إلى جسده الضئيل..

لكن الحقيقة كانت جليلة أمام أعيننا ومنذ اللحظة الأولى.. هذه حالة متبعية، وكل ما علينا فعله هو قننة والديه المشكين على الجنون هلعاً..

- "لوح الحقيقة صنع السحرة في العصور الغابرة، والغرض منه استدعاء كيان ما غير محدد الهوية، هذا الكيان يحتل الجثة التي توضع في تجويف اللوح.."

حين كنت طالباً في كلية الطب، أخبرنا أحد الأساتذة، أن أقسى لحظة سمرها، حين نغير أهل المريض بولائه.. مستعرض إلى عاصفة من الهلع والاستكار وعدم التصديق، لكنك مع الوقت ستحاذ هذه المهمة الشاقة، وستؤديها بصفة روتينية..

أنا اعتدت هذه المهمة الشاقة، بل ووصلت إلى الدرجة التي انتظرت فيها خروج والدي الطفل وهما في حالة الهيار تام، لأحمل جثة طفلهما في حقيبة مليئة بالثلج، لأنقلها إلى ثلاجة معدة خصيصاً لهذا الغرض في داري،

انتظارا لليلة الموعودة..

"حين يحتل هذا الكيان الجسد الراقذ على اللوح، يحركه وينطق عن طريقه.. الميت لا يعود للحياة، لكن هذا الكيان يستحوذ على جسده ويستخره له.. ونحن نستخره لنا ليخبرنا بالحقيقة.."

بالطبع لم يمر اختفاء جنة الطفل من المستشفى مرّ الكرام.. كان هناك صراخ والديه، وتحقيقات واتهامات وأخبار في الصحف وفي نهاية الأمر.. لا شيء!

تم اعتبار أن الطفل دفن بهوية مختلفة عن طريق الخطأ، وتلقى والداه تعويضاً محترماً سيساعدهما على إنجاب طفل آخر، وظلت أنا بمنأى عن أي شك..

ما الذي سيدفع طيباً محترماً مثلي إلى سرقة جنة طفل؟!!

- "الحقيقة هي ما ستحصل عليه الليلة.. حقيقة الماضي وحقيقة المستقبل.. سؤال واحد لكل منا قد يفتح له أبواب النجدة والثراء وقد ينقذ حياته لو كانت ساعته قد أوشكت.. لذا اختاروا أسئلتكم بحرص شديد"

كانت هذه هي اللحظة التي تبادلنا فيها النظرات..

سؤال واحد لكل منا.. ترى أي سؤال ستختاره لو كنت مكاني؟!!

فكر جيداً.. لإجابة مؤالك، وكما قال السيد (منير) قد تفتح لك

أبواب الثراء، وقد تنفذ حياتك لو كانت ساعتك أوشكت..

أنا أعرف عن ماذا سأسال، وسؤالي أيها السادة سيُدرّ عليّ الملايين.. ملايين زوجتي الراحلة!

تلك اللعينة أخفت عني ثروتي قبل أن تموت، بعد أن أدركت أن هذا سبب زواجي منها في المقام الأول..

تلك الحمقاء!!.. لماذا تظن أنني تزوجتها إذن؟!!

أي شاب يتزوج امرأة يتجاوز عمرها ضعف عمره، هدفه واضح وصريح وإن أنكر الجميع هذا..

لا مكان للمواطن أو لعقدة (أوديب) هنا.. إنني (إنديانا جونز) الباحث عن الثروة، وتلك الحمقاء غمّلك الكثير..

بل الكثير جداً..

قطع السيد (علاء) حبل الأفكارنا، بسؤال ساذج:

- "سؤال واحد؟!.. فقط؟!!"

أوما السيد (منير) برأسه إيجاباً، ثم واصل بث الشرح ونفث الدخان:

- "ثمة شيء آخر يجب أن نحذروا منه.. هذا اللوح يفتح الباب بين

عالمنا وبين عالم آخر لا يعلم إلا الله ما الذي يوجد فيه.. لذا فهذه البلورة

الرجاجية ستكون بمثابة جهاز الإنذار لنا.. حين تتألق البلورة باللون الأخضر
سيعني هذا أن الاتصال بيننا وبين العالم الآخر قد نجح.. وحين تتألق باللون
الأزرق سيعني هذا أن الكيان الذي سيجيب على أسئلتنا قد حضر..*

ثم ابتلع ريقه، ليضيف:

- "المشكلة ستكون حين تتألق البلورة باللون الأحمر، ففي هذه الحالة
يعني هذا أنهم حضروا.. اللون الأحمر هو لوهم.."

جاء دور (رحنا) ليهتف بعصية:

- "من هم بالضبط؟!.. لست أفهم شيئاً من هذا الكلام الملعن.."

أخذ السيد (منير) يبحث في غلبونة، وهو يجيب:

- "كما قلت آنفاً، لا يعلم إلا الله ما يحويه هذا العالم الآخر.. لكن
اللون الأحمر يعني حضور أسوأ ما في هذا العالم وأشدّه خطورة.. لو تألقت
هذه البلورة باللون الأحمر فسيعني هذا أن فرصتنا في النجاة من هذه التجربة
ضئيلة، لذا أكرر.. من يرد الانسحاب فليفضل مشكوراً من الآن، فلا
مجال للتراجع إذا بدأنا.."

ألجم الصمت الذي حلّ على المكان ألسنة الجميع، فعدت إلى خواطري
المضطربة..

زوجتي بدأت تفهم الحقيقة منذ عام واحد تقريباً.. كانت مسنة لكنها

امراً، لذا كانت تفهم معنى تأخري الدائم عن المنزل ومعنى تلك الاتصالات
الغامضة، التي يغفل أصحابها الخط في وجهها إن ردت هي...
هناك أخرى.. وربما أكثر من واحدة.. وهذه هي الحقيقة!

وحين واجهتني، كنت قد سأمت بقاءها على الحياة حتى هذا الوقت؛
لذا صارحتها بالحقيقة برود وقسوة، علّ الصدمة تحقق لي هدفي في ميراث
سريع ومضمون..

لكنها -اللعينة- تلقت الصدمة بالهستيريا والدموع وبإخفاء ثرونها عني
حتى لفظت أنفاسها في أحد الليالي وهي تعني بأقذع الألفاظ..

ما لم تعرفه هي حتى النهاية، أن وفاتها لم تكن طبيعية.. لم تكن كذلك
قط!!

- "هل منبدأ أم ماذا؟!"

قالت السيد (منير) هذه المرة، ليجيبه صمتاً بالإيجاب، فقال:

- "ليخرج الكل الأوراق التي وزعتها عليكم.."

أخرجت تلك الورقة المطوية من حيب معطفي، وفضضتها لتجري
عيناى على تلك الأسطر اللاتينية التي كتبها السيد (منير) بخطه الأنيق
المنمق..

لست أفهم حرفاً مما أمامي الآن.. لقد شرح لنا السيد (منير) المعنى من قبل، لكنني نسيت.. على كل حال إنما ليست قصيدة شعر، ولا ينبغي عليّ أن أقرأ من القلب!!

عبث السيد (منير) بأحد الأزرار في الخائط وراءه، فالتقطت الإضاءة في الغرفة للحد الذي أصبحنا فيه نرى بعضنا البعض بالكاد، ثم وضع غليونه - أخيراً - جانباً، لنبدأ في ترديد التعويذة..

"ما نياس.. ركاكس.. تينوس.. ما ساسيس"

كلمات كتبها السحرة في العصور الغابرة، ترددناها حناجرنا المرتجفة، وأعيننا معلقة على جثة الطفل وعلى البلورة الزجاجية..

"ما نياس.. ركاكس.. تينوس.. ما ساسيس"

تنالق البلورة باللون الأخضر لتعرف أننا على الطريق الصحيح، فأنبت عيني على وجه الطفل الملطخ بالدماء الجافة منتظراً لحظة الحقيقة..

"ما نياس.. ركاكس.. تينوس.. ما ساسيس"

اللون الأخضر يزداد تالقاً ثم يتحول إلى الأزرق الشاحب البارد، ليضفي على جلستنا الرموية هذه مذاقاً خاصاً..

"ما نياس.. ركاكس.. تينوس.. ما ساسيس"

الآن تحدث المعجزة، ونرى بأعيننا التسعة ذهبولاً ووجلاً، تلك الرجفة التي تمر على جفني الطفل، ثم تراه يفتح عينيه ببطء؛ لتحديق الجثة بعينين لا تريان في سقف الغرفة..

كان (علاء) يرتجف هلعاً.. و(رضا) يرتجف انفعالاً.. و(فهمي) يجاهد للحفاظ على تماسكه، بينما تبدت اللفهة في عيني السيد (منير)، وهو يرى الاتصال يتم بنجاح..

"ما نياس.. ركاكس.. تينوس.. ما ساسيس"

الآن تتحول البلورة إلى اللون الأزرق.. والآن أتذكر كيف قررت ذات يوم أن ألهي حياة زوجتي العسة بيدي، ما دامت تصرّ على البقاء حية..

عبرني كطبيب كانت تعني أن التنفيذ سيكون سهلاً، لكن الصعوبة تكمن في اتخاذ القرار ذاته..

صحيح أنني كنت أكره تلك العجوز الشمطاء من أعماق أعماق قلبي، لكن أن أراها تموت كل يوم بتأثير ذلك السم البطيء الذي كنت أدسه بانتظام في دوائها، كان تعذيباً حقيقياً لأعصابي..

كنت أراها.. تضعف.. تنهار.. تفوي.. تتلاشى..

ولقد كانت هي تشعر أنني السبب في هذا كله!!

- من سيدا!!

قالها (علاء) بصوت مرتجف، فأجابه السيد (منير) على الفور:

ـ "لا فارق.. ابدأ أنت.."

احتشدت قطرات العرق في جبهة السيد (علاء)، ونطق بصوت مختنق انتزع من حلقه التزاغ:

ـ "سؤالي هو... هو... هل توجد طريقة كي لا أموت؟!"

ها هو ذا أول سؤال للحقيقة يبحث عن سر الخلود..

وكأنما يدفع السيد (علاء) هذا الإقام عن نفسه، قال دون أن ينظر لأحدنا:

ـ "إنني أموت.. تليف في الكبد..."

بالطبع كان هذا كافياً لي لأفهم.. تليف الكبد الناتج من الإسراف في شرب الكحوليات.. لا علاج له.. !!

تعلقت أعين الجميع على وجه الطفل الذي ظل ساكناً كأي جنة، ثم وببطء شديد فتح الطفل فمه ليروم..

يزوم بصوت ثابت عميق لا يمكن أن يصدر عن طفل بأي حال من الأحوال..

وبتوتر هف السيد (رضا):

ـ ما هذا..؟!

لكن السيد (منير) أخمسه بإشارة من يديه، لتظل الكرة في ملعب جنة الطفل..

الطفل الذي أخذ يزوم بصوت غير بشري..

صوت قادم من العالم الآخر!!

كنت خائفاً وهذا ما لا يمكنني إنكاره.. ما يحدث الآن يفوق قدرتي على الاستيعاب، والسبب واضح وصريح..

هذا الطفل ميت.. جنة هائمة لا حياة فيها من أي نوع، فأي كيان هذا الذي يستخدمها ليزوم؟!

استمر هذا الصوت الرهيب المبعث من الطفل طويلاً، فاقترح السيد (لمهي):

ـ "هل.. هل نجرب سؤالاً آخر؟!"

ـ "لم لا؟!"

ـ "إذن، فسؤالي هو... هل... هل...؟"

ولسبب ما بدأت ملاحمه الأرستقراطية الجامدة ترتجف، ورأيت - لأول مرة منذ عرفته - يتلعثم وهو يمسح قطرات عرق وهمية عن جبينه، بمندبل حريزي فاخر، ليخرج سؤاله:

- "هل.. تخونني زوجي حقاً؟"

لبدت الصدمة في ملامح الجميع، إلا أنني شعرت بحق بالغ وأنا أتساءل في أعماقي إن كان هؤلاء الحمقى يفهمون العرص من هذه التجربة حقاً

الأول يسأل عن علاج لمرصه والآخر يسأل إن كانت روحه تخونه لهذا جنى بلوح الحقيقة والخنة وقب بالمحاطرة في هذه التجربة المحيطة من أجل الهواء ذاته!

على كل حال استمر الروم المحيف المعبث من حنة الطفل دون أن يجب على هذا السؤال أيضاً، فتعقب نظراتنا الحائرة على وجه السيد (مير) الذي أشار لنا بيده إشارة أنه لا يفهم ما الذي يحدث بالضبط

و دون أن أستاذن، ألقيت بسؤالي عله يجذب اهتمام الكيان الذي يسطر على جنة الطفل:

- "أين أخت زوجي ثروفا؟"

الطفل يزوم بلا انقطاع كأنه يسخر منا..

و لم تحمل أعصاب (رضا) كل هذا الاستمرار، فهت من على مقعده صائخاً:

- "ما هذا العبث؟ هل سيجب هذا الوعد عن أسننتنا أم ماذا؟"

أثار تصرفه المفاجي دعر السيد (مير) الذي أخذ يردد شيئاً ما باللاتينية، ليتوقف الطفل عن إصدار تلك الضوضاء المخيفة، ولتطفي البلورة الزجاجية دفعة واحدة..

و بغضب هائل صاح السيد (مير):

- "أيها الأحمق أتريد أن تقضي علينا جميعاً بتصرفك هذا؟"

- "إن كنت أحمقاً، فلماذا لا تفسر لنا أيها العبقري ما الذي يحدث بالضبط؟"

- "لا بد أن هناك شيئاً ما لم يفعله هذا هو كل شيء ساراجع أوراقك وستكرر التجربة في وقت لاحق.."

- "كررها عمردك إذن، فلن أشارك في هذا السخف ثانية.."

و دون أن ينتظر رداً، اندفع مفادراً المكان بثورة، لتركنا تبادل النظرات الحائرة..

كان السيد (علاء) شاردًا يفكر في كيد المقلب وموته القادم لا محالة، بينما بدا السيد (فهمي) مثيراً للشفقة بحق، وهو يحاول إخماء وجهه بكفيه، وقد أفضى سره أماما على هذا النحو، بينما اكتفى السيد (مير) بأن أحد يشعل علبونه وقد أعاد الإصاء إلى الدرجة الطبيعية، قبل أن يقول

- "لا داعي للشك سكرر التجربة مرة أخرى لاحقاً بعد أن أعرف

ما الخطأ بالضبط..*

كانت رسالته التي تطلب ما الرحيل وصحة، فهرّ (علاء) رأسه بشرود، وغادر المكان دون أن يطق بحرف، بينما وقف السيد (فهمي) وأحد يبحث في ذهنه عن شيء لائق ليقوله، فلم يجد سوى

- "ليلة طيبة.."

و غادر المكان ليتركني أشر إلى الجنة لثلاث:

- "وماذا عن هذا؟!"

- "أتركه لي قليلاً ربما اهتمت له لأفهم ما الخطأ الذي حدث.."

لم أكن متحمساً للاحتفاظ بالجنة، كما أن الإحباط الذي أصابنا جميعاً، كان يدفعني للإسراع بالمغادرة، فقلت:

- "كما تشاء.."

و غادرت الغرفة قليلاً لأطلق سيارتي في الشوارع المظلمة بين بيوت المقطم الكنية..

ليلة أخرى من عمري تضع دون أن أعرف أن أحب روحي ثروتي

ليلة أخرى من عمري لن تعود مجدداً..

• • •

لكن الليلة لم تنته عند هذا الحد، ولا بد أنك توقعت هذا بصورة أو بأخرى..

كنت قد أوشكت على الوصول إلى منزلي حين دق جرس هاتفي الغمول، فرددت على الفور ليأتي صوت السيد (مير) يهتف بانفعال لم أعهد فيه قط:

- "(أنور).. تعال فوراً.."

قلما ثم أعلق الخط على الفور دون أن يحسني فرصة للرد، ودون أن يجب عليّ إذ أحدث أحاول الاتصال به لأفهم ما الذي حدث

ثم - وقد تغلبت فصولي على حنفي - استدرت بالسيارة لأعود إلى المقطم، وأنا أصرب أحاساً في أسداس ترى هل فعلها؟

هل نصح؟

كانت الطرق شبه خالية في هذا الوقت، لذا لم ألق مشقة في العودة إلى تلك القبلا في المقطم، لأجد أن سيارة السيد (علاء) تقف في الخارج، فصاعف هذا من فصولي، لأخرج من السيارة متجهاً إلى بوابة القبلا، التي لم أندعش كثيراً حين وجلتقا مفتوحة..

ثمّة شيء ما حدث هنا، وأنا أشم رائحة هذا الشيء لكي لا أدري كنهه.. تجاوزت الردة وأنا أنادي بأعلى صوتي:

- "سيد (مير).. (علاء).."

لم يجي أحد فأنجعت على الفور إلى الغرفة التي أجرياً فيها التجربة،
ولتحت بائناً و... و...

و كما توقعت أيضاً، وجدت الهول ذاته في انتظاري..

كان السيد (علاء) يقف قرب الباب، وجسده يتعصم بملح وعياه
جاحتان بشدة، بينما أحد السيد (مير) يرحف على الأرض تجاهه وهو يمد
يده أمامه وقد شحب وجهه بصورة مخيفة وتناظفت حصلات شعره على
وجهه، ليدر كدوتى الأحياء في أفلام الرعب القديمة، وقد اكتسى المشهد
كله أمانى باللون الأحمر الساطع، القادم من البلورة..

"لكن اللون الأحمر يعنى حضور أسوأ ما في هذا العالم وأشدّه خطورة .
لو تألفت هذه البلورة باللون الأحمر فسيعى هذا أن فرصنا في النجاة من
هذه التجربة ضئيلة.."

هذا ما قاله لنا السيد (مير) وهذا يعنى أن هناك كارثة رهيبة موشكة
على الحدوث، إن لم تكن حدثت فعلاً..

انزعجت الصرخة من حلقي-

- "سيد (مير).. ما الذي حدث؟"

بالطبع لم يجبي أحد، بل واصل السيد (مير) رجهه المحيى هذا تجاه

(علاء) الذي شله المبع تماماً، ثم توقف السيد (مير) أحياناً وإن ظلّ يشير
بيده الممدودة على (علاء)، لتخرج الكلمات من فمه، بصوت لا يمت له
بصلة.

- "أنت.. أنت متقيء دماً حتى تموت.."

فالها ثم قماوى جسده دفعة واحدة!!

ها بدأ السيد (علاء) في إطلاق الصرخات المستمرة، ففقدت أنا
أعصابي عايب، وجملت أول مقعد أمانى، لأهوى به على البلورة الزجاجية،
لتهشم بدوى أشبه بالقبلة..

سد الظلام الغرفة، ليرتفع صوت صرخات السيد (علاء) المستمرة
أكثر وأكثر، بينما الخنثى أنا على السيد (مير) لأفحصه..

لكه كان قد مات حالة منتهية كما اعتدنا أن نسمي كل من غادروا
عالمنا اليغيب هذا!!

ما الذي حدث هنا؟

و أين أصبحت حنة الطفل؟

استهت إلى هذه الحففة الجديدة. في اللحظة التي دخل فيها السيد
(رضا) الغرفة لصيحه، ولبظر إلى المشهد الرهيب أمامه، قل أن يهف
بعضيته المعتادة

- "ما الذي حدث؟.. ما الذي؟"

لكنه سر مؤالده ليهوي على وجه السيد (علاء) بصعقة هائلة أخرسته على الفور، قبل أن يكرر هو هتائه.

- "ما الذي حدث هنا؟!"

أجته محاولاً التماسك.

- "لا أعرف.. لقد وصلت لأحد أن السيد (مير) يموت وهو ينثر إلى السيد (علاء)، والأسوأ من هذا أن جثة الطفل اختفت.."

- "ماذا تقول؟.. (مير) مات؟.. الطفل اختفى؟!"

ثم وبعمدية يحسد عليها أسرع مفادراً المكان كله، تاركاً المأساة كلها على رأسه..!

لم أحد أممي سوى (علاء) الذي انهار يكي في ركن العرفة، فاعيت عليه لأسأله:

- "أخبرني ما الذي رأيته.."

لكن حاله أجابني بأن الحصول على رد منه، سيكون صرباً من الخيال، فركنه لأبدأ في البحث عن جثة الطفل التي اختفت.. لا بد أنها هنا في مكان ما.. لا بد لأنها جثة رغم كل شيء..

لكن نتيجته بخني الذي لم يسفر عن شيء، جعلتني أقف في ردهة الفيلا أرتجف.. الجنة اختفت.. السيد (مير) مات.. والسيد (رضا) هرب، ولا بد أن (فهمي) في الطريق إلى هنا، ربما يبدو أن (علاء) قد فقد عقله إلى الأبد..

ما الذي تفعله لو وجدت نفسك في مثل هذا الموقف؟

موت (مير) يعني أن هناك تحقيقات وشرطة وانقادات وسبهم ذكر موضوع سرقة جثة الطفل من المستشفى والفرص من هذه التجربة وكل ما يكفي لتدمر حياتك إلى الأبد..

ما الذي ستفعله لو وجدت نفسك في مثل هذا الموقف؟

يطء قلبي أغمغم:

- "هذا المكان يحتاج إلى تطهير.."

و أبداً في تطهيره..



الآن أقود سيارتي مبتعداً عن المكان، وقد ارتفعت السعة اللهب من العبلا لتصحوها من الوجود..

لا بد أن أحدهم استيقظ وأنه أبلغ الشرطة والمطافئ، لكن حين يصل هؤلاء سيكون الأمر قد انتهى، فلقد حرصت على إلقاء الجثث في كل ركن

في هذه العيلا المدعونة .

السيد (علاء) حسن لقد حاولت إخراجك، لكنه كان قد فقد عقله تماماً، ولم أكن لأحاطر بخسارة كل شيء، أملكه من أجل مجون مصاب بتليف الكبد..

لست أعرف أين السيد (فهمي)، ولا السيد (رضا) الآن، لكنني واثق من أنهما لن يتحدثا لي هذا الموضوع مع أحد. ستمحى هذه الذاكرة من تاريخنا ببساطة وإلى الأبد..

الآن ألقوا سيارتني وأنا لم أحسر إلا فرصتي في معرفة مكان ثروة روحي الراحلة، لكنني سأواصل البحث..

حتمًا سأجد المـ...

"روحك تحولت ثروتها إلى ماس، وأحسنت في صندوق، دفنته في الصو"

ارتفع الصوت من المقعد الخلفي فانتصت بدعري، لأنظر إلى الشيء الذي جعلني أصاب بألم لأصرح بدعري هائل، ولأنفقد التحكم في السيارة

إلى الطفل الذي جلس في ظلام المقعد الخلفي، وإن مرّ صوء مصابيح الإضاءة في الشارع عني وجهه لحظة، لأرى أنه يسمي إسمه شيطانية محببة

لحظة واحدة رأيت فيها وجهه الملطخ بالدماء الخائف، وتلك الإسمامة

التي صاحبت جميع كوايسي بعد هذه الليلة ثم سمعت بوق تلك السيارة ورأيت مصابين عملاقين يتجهان تجاهي بسرعة خرافية.. ثم ثم ثم انتهى كل شيء بفتة..



فيما بعد عرفت أن السيد (فهمي) قتل زوجته في ذات الليلة وسلم نفسه للشرطة..

و عرفت أيضًا أن السيد (رضا) غادر البلاد بلا رجعة، بينما أعلقت قصبة فيلا السيد (مير) اختراقه بعد أن عثروا على حثته وحشة السيد (علاء)، دون أن يجدوا دليلًا واحدًا يهتج لأقدام أحد به..

أما أنا فلقد نجوت من الحادث حقا، لكنني الآن مصاب بالشلل الكلي، ولن يمكن أن تتجمل كيف أن قدرتي على تحريك ساقي اليسرى -آخر ما يمكن تحريكه بإرادتي في جسدي- هي الشيء الوحيد الذي جعلك تقرأ هذه القصة..

ثروة روحي في صندوق مدفون في قبو منزلي بالمناسبة لو أردت المغامرة والحصول عليه، لكن يجب أن أحذر أيضًا أنهم لم يعثروا على حثته لطفل في حادث السيارة..

في الواقع لم يعثروا عليها حتى الآن!!

لا أعرف - وربما لن أعرف - أين هو الآن . لكنني أعلمه دوماً بحوب
ظلال الطرقات بوجهه الملتفح بالدعاء الجافة وابتسامته الشيطانية المحيطة
وحده يعرف حقيقة ما حدث..

وحده يعرف ما هو النقص الذي يدفعه البؤساء الذين تألق في وجوههم
اللون..

الأحر

• • •

يرتقالي

"كنت أعرف أن تعلق ابني بهذه الدمية غير طبيعي كنت أعرف هذا لكنني تجاهلته.. لهذا أنا أستحق"



من الصعب دائماً تحديد النقطة التي تبدأ من عندها الأحداث حين تقول (بدأ كل شيء منذ) فأنت لا تحدد البدايه بدقة، إنما تحدد الوقت الذي اسهت أنت فيه لما يحدث طيلة الوقت من حولك، وحتى هذا يخضع لقوة ذاكرتك، ولا يوجد مثال أفضل مما قاله الكاتب العظيم (ماركيز)، حين وصف كتب التاريخ قائلاً:

~ "التاريخ ليس ما حدث حقاً بل ما تذكره وكيف تحكيه"

من الصعب إذن أن أحدد لكم متى بدأت استي في التغير، لكنني سأقول أن كل شيء بدأ حين قرر روحي السفر فجأة إلى الخليج بحثاً عن المال الذي لم يجده هنا..

أي راحة تعرف تلك اللحظة التي يتحول فيها الروح من الخبيب ذي الصدر الدافئ، إلى مصدر تمويل المنزل، بل وتطالبه بها إن لم يفعلها هو بمفرده أنا أحبك نعم لكن هناك قواير الماء والطعام والكهرباء والتليفون ومدرسة الطفل والملابس والمسبات، ولن يغني دواء صدرك عن هذا كله..

لقد سافر روجي لانه أدرك أن دوره في المنزل تقلص إلى مائدة
صرف نفود، عبيها ألا نص علب بالأوراق المالية المحبة التي تشتري
السعادة الحقة؟

من الصعب دانب تحديد بداية الأحداث، لكسي سأعود بذاكرتي إلى
اليوم الذي اصططحت فيه طفلي (ربا) إلى السوق لشترى بعض الألعاب،
وفي هذا حل أكيد ليكانها الدائم على احتفاء أبيها من المنزل هذا هو أجمل
شيء في الأطفال؛ قدرتهم على النسيان.

(ربا) تبغ من العمر تسع سنوات. وهو العمر الذي تعرفه أي أم
ونفقه به الوقت الذي يتعم فيه الطفل كيف يكون مرعخا ومودنا في
الآن دبه، وهو العمر الذي تعتاد فيه الأم على ضرب طفلها في محاولة باتسة
لهديه، تسمر حتى يكرر هذا لطفل ويترك المنزل بلا رحمة، لكسي في هذا
اليوم كنت أحرز معي طفلة بالسة، لا تفهم سر احتفاء والدها من المنزل رغم
تعلقه الشديد بها من يستحل على من في عمرها أن يفهم أهمية المال.
وهذه نقطة أخرى في صالح الأطفال..

السخيف في الأمر أن حزن ابني كان صادقا وقولنا إلى الدوحة الذي
جعل كل اللعب والهدايا في نظرها، أشياء حققاء سحيقة لا يمكن أن نخفف
عبيها، والأسوأ من هذا أنني - ومع يؤسها المستمر - بدأت أدرك حقيقة
أنني أصبحت امرأة وحيدة امرأة بلا رجل ومستولة عن طفل

صحيح أنني من شخخ فكرة السفر، لكن هذا لا يمنع من أنني ألتهد
وجوده ألتهد صوتة الرحوي وهالة الأمان التي يحيط بها المنزل كل هذا لم
يعد موجودا لأنا نحتاج للمال اللعين!!

و هكذا بدأ الأمر يتحول من أم تحاول الترفيه عن طفلتها إلى لثاني
ناس يجرب طرقت المدسة بلا هدف، حتى أنني فررت العودة إلى المنزل
حيث يمكنني ممارسة حقني في البكاء بلا حرج، حتى توفقت ابني ليجاء أدم
متجر للألعاب، وقد تعلقت عنهاها على دمية محددة..

دمية دب مكنز، في حجمها تقريبا، ويحمل وجهه ابتسامة واسعة
مرحة، بينما تحديق عيهاها البرتقاليان بإصرار في وجه الجميع دمية عادية
لا تحمل أي ابتكار، لكنها حدثت اهتمام (ربا) فاعجبت عبيها لأقول بحان
هل تربيتها؟

هزت راسها الصنيل أن (نعم) فلم تمض عشر دقائق حتى كانت تحملها
بين ذراعيها لتجده إلى المنزل، وقد عدت وجهها الملائكي - أخيرا -
ابتسامة رضا وحبور.

ألم أقل لكم أنها طفلة، وأنها متعسى!!.. لكن..

من يأتي لي بدب بي مكنز يساعدي على النسيان!!

لم ألحظ ما يحدث في بدايته لأنني كنت مشغولة..

إني الآن أعب دور الأم والأب، وفي هذا مشقة أي مشقة لم أعرف حقاً كم لعب الذي كان يريحه روحي عن صدري إلا في هذه الفترة، ورغم كوني ربة منزل لا تعمل إلا أنني كنت أعاني الأمرين كل يوم من اللحظة التي تتحرك فيها (رنا) فراشها وحتى تعود إليه..

في نهاية اليوم أحس وحدي على الفراش أسحل وبدقة مضارب اليوم وما تبقى من نقود وما يحب عني إدخاره - روحي لم يسافر إلى الأبد - وما يمكن اقتطاعه لحسابي الشخصي. وبعد أن أنهى من هذا، أظل بقية الليل أرمق الفراغ الكائن حواري على الفراش، والذي كان يحسنه حسد روحي منذ أسابيع قليلة..

مهما حاولت المرأة ستظل أهمية وجود الرجل في حياتها حقة لا لفرار منها

كان كل شيء يسير عني ما يرام، لكنني لم أعرف أن أنني لم تكن تمام هي الأخرى على فراشها..

ما عرفته بعد ذلك أنها كانت تقضي ليلتها كلها تتحدث..

تحدثت بصوت خافت مرتجف إلى دميتهما - الدب المكتنز ذو العيان البرتقاليان..

مق عرفت هذه الحقيقة الجديدة؟

حسناً إنني أتذكر هذا اليوم جيداً...

• • •

كان يوم الين، وكنت قد استيقظت من المادمة صباحاً كمعادني لأعد طعام الإفطار لـ (رنا) قبل أن أوقفها لتذهب إلى المدرسة، لكنني حين ذهبت إليها في غرفتها وحلقاً جالسة على فراشها وقد بدا حلياً من عبيها الغتفتين والإرهاق اليادي على وجهها الملائكي، أنها لم تم إطلاقاً

سألها بقلق:

- رنا.. هل أنت مريضة؟

هزت رأسها أن (لا)، فسألت:

- ألم تنامي جيداً ليلة أمس؟

هزت رأسها أن (لا) مرة أخرى، فسألت:

- لماذا؟

ها ظلت (رنا) صامتة قليلاً كأنها تستجمع طاقتها لشجيب، ثم مدت يدها يبطء لشر إلى دماغ المكتنز دون أن سطق بحرف، فههمت أنا الموقف - كنت حقا ولم أفهم شيئاً لكنني لم أعرف هذا في حبه - وهمت فيها.

- أخذت تلعين طيلة الليل ولم تنامي.. أليس كذلك؟!

لم تجبي (ربا) هذه المرة، وبدأ وكأنها قد استعدت طاقتها كلها، فهررت أن أتركها هذا اليوم دون أن يذهب إلى المدرسة، وقلت بفيض

- إذن أرقاحي اليوم.. لا مدرسة..

لكي قبل أن أخرج أخذت الدب المكتوم معي وأنا أردف

- ولا لعب كذلك.. هيا.. نامي.

و هكذا أغلقت عليها الباب وعدت إلى عرقي لأظفر باليوم، وقد بدا أني قد أحظي بساعات يوم إضافية هذا اليوم، دون أن يؤدي هذا إلى كارثة..

ألقيت بالدب على أحد الأرائك في ردهة المنزل، ثم ذهبت إلى عرقي لأدم، على أن أسيّظ بعد عدة ساعات لأعد طعام الغداء ولأواصل ظفوس اليوم المعتادة..

كان يوماً عادياً لم يستجد فيه شيء (ربا) استيقظت عصراً وقد بدا عليها الانعاش، وقضت يومها في مداورة دروسها تحت إشرافي، وفي نهاية اليوم سمحت لها بالجلوس أمام التلفاز قليلاً حتى أتت الساعة التاسعة مساءً، فحملتها حملاً إلى فراشها وأنا أقول:

- نامي جيداً.. ستذهبن إلى المدرسة غداً.

و بعد أن أوت إلى فراشها، عدت أنا إلى عرقي لأواصل تسجيل مصاريف اليوم الجديد، وهي عادة غير مفيدة إطلاقاً في حالة الإدمان، لكنها تقتل الوقت قتلاً وهذا ما أحتاج إليه حقاً..

أتذكر يومها أني - وحين تسلل العناس إلى حموي - قررت أن أمر على عرقي (ربا) أولاً، لأنك من هنا (تأكل أرز) مع الملائكة كما يقولون، لكي لم أكاد أصل إلى باب غرفتها حتى سمعتها تتحدث..

تتحدث بصوت حاد مرعف، لم أغير معه ما تقول بالاصط لدا دحت على الفور لأرى ما الذي يحدث بالاصط، فوجدتها تحبس على الفراش، وقد وضعت ديب المكتر - الذي التصعب عياد البرتقالين على صوء القمر - أمامها تتحدث إليه بخوف شديد استحال إلى فرع حين رأيته

كنت حمقاء ابه السادة، لدا فهم الفعل سوى أني صرحت فيها وحدثت الدب من أمامها وأنا أهتف بصراة

- نامي فوراً.

و على عكس ما تخيلته، لم تقاوم، بل وبدأ الأمر وكأنه كانت تنظر من بأحد الدب من أمامها، فحمتته معي حارحة من العرفة لالقه في الصالة مجدداً..

لم أكن أعرف لم أكن أفهم وهذا استمر الأمر أكثر من هذا .

• • •

هكذا اعتدت أن أحمل ادب من أممها كل ليلة، لأؤكد من أنها
منام

اعتدت أن ألقى الدب على أحد الأرائك في الصالة، ثم أمام وعبر اليوم،
وفي المساء أحمل الدب مجدداً من أمام (رنا) في غرفتها.

ما دامت ابنتي تحبها أن هذا الحد، فلماذا كانت تحمله إلى غرفتها كل
ليلة إذن؟..

سؤال بديهي لكني لم أفكر فيه قط. حتى جاء اليوم الذي دفعني للبدء
في التفكير في هذا الموضوع..

كتب امر بطقوس اليوم المعتادة، وكنت قد بلغت دروة إرهافي مع
حبول الليل، حتى أنني قررت أنه لا داعي لتسجيل مصاريف اليوم، لكني
قررت أن أمر على غرفة (رنا) للاطمئنان عليها قبل النوم، وحين دخلت
عليها كانت هناك معاجاة عجيبة متظاري في تلك الليلة بدأت الفسق في
تلك الليلة بدأت الحروف .

كتاب (رن) قد قصت رأس دميتها عن جسدها الذي ألقته في ركن
الغرفة، بينما وضعت الرأس المثبت في حجرها، سطر إلى العين البرتقالتين

بوجل، وقمس محدثة رأس الدب بخوف..

أي طعنة التي تلعب بهذه الصورة!!!

لم أشعر بنفسى إلا وأنا أترع الرأس من يدها، لأصرح فيها بعف لم
أعتده في نفسي، بينما طلت هي صامتة على الفراش، تسيل دموعها قطرات
على وحنيتها، وسهام من نار في قلبي لماذا يا (رنا)؟ لماذا؟
بالطبع أصابني دموعها بالهستيريا، وبعد كثير من الصخب كنت
أحتويها في صدري ونبكي سوياً..

- لماذا قطعت الرأس يا (رنا)؟

- هو أخيري . قال أن الجسد غير مهم..

- من هو؟

- الذي يعيش في العينين البرتقالتين..

• • •

الأطفال يصابون بالاضطرابات حين يفقدون أحد والديهم قرأت هذا
من قبل وأذكره الآن..

(رنا) تنفد والدها بشدة، وهذا هو كل شيء لا داع للإصابة
بالجنون.. لا داع للانتحار!

(٧) مضطربة نفسياً لكن ما الذي عليّ أن أفعله أكثر من هذا "

بالطبع لم أكن قد وصلت بعد إلى المرحلة التي تمكنني من ربط كل ما يحدث بالدمية..

أنت تنظر لأن إلى موضوع من أعلى، مما يُمكنك من رؤية الصورة كاملة، أما أنا فكنت تفصيلاً صغيرة في الصورة الكاملة، لا يمكنها سوى أن تنظر إلى التفاصيل الصغيرة من حولها..

ذهبت إلى طيبة بحسبة ختاً عن المشورة وبلى دحالة معروفة عتاً عن الأمل ولم أترك باباً إلا وتوسلت أمامه عني أفهم ما الذي أصاب استي بالضبط..

بها لا تتحدث إطلاقاً لا تام أيداً لا تفعل شيئاً سوى التحديق المستمر في عيني رأس الدب البرتقالية كأني مجد في هذا الشيء راحتها الوحيدة. حاولت التخلص من رأس الدمية، لكن دموعها الصامتة كانت تجعلني أتراجع كل مرة..

بها طفلة بانسة تتعذب، فلماذا أحرمها من الشيء الوحيد الذي تريده؟

بالطبع لم أحد كلامها بخصوص الشيء الذي يعيش في العيين البرتقالتين بحدة، بل اكتفيت بالاعتقاد أن استي أصيب بالخيال لشدة

الحزن، وأنه عليّ أن أساعدها بأي وسيلة..

كنت أعرف أن تعتق أنني هذه الدمية غير طبيعي كنت أعرف هذا لكنني تجاهله..

هذا أنا أستحق ما حدث بعد ذلك..

أستحقه تماماً..



في أحد الأيام وثناء غمولي في السوق لأشتري ضروريات المنزل، شعرت بذلك الهاجس الخفي الذي تشع به أي أم، والذي يحبرها أن طفلها في خطر هذا هو الهاجس الذي يوقظني في منتصف الليل لأجد طفلي الرضيع يكاد يسقط من على فراشه لا معمرات في الأمر لكنه شعور داخلي عميق..

كنت قد تركت (ربما) في المنزل - فهي لم تعد تذهب إلى مدرستها منذ زمن - لذا أحدث في طريق عودتي إلى المنزل أنني تصورات سوداوية عما يمكن أن يكون قد حدث..

لقد أشعلت النار في الشقة وهي الآن تختنق حتى الموت لقد دسّت إصبعها في قابس الكهرباء لقد ألقت بنفسها من الشرفة شيء ما حدث!

لكفي حين وصلت إلى المنزل، وجدت ما هو أسوأ من هذا كله.

كانت أبي (رنا) تجلس على أرض الصالة. ورأس الدب ذو العيين
البرتقاليين، ممسكاً يدها في ثبات، وهي كانت تبكي بهسرياً بحيفة كذا
رأت مذبحاً بحيفة من لحظات..

أنقبت بكر ما في يدي، لارفعها من على لأرض ولأدفعها في حصي
وانا أردد بجرع

- (رنا) حبيبي.. ما الذي حدث؟

- بابا!!!!!!!!!!!!

- عرف يا حبيبي، عرف، بك تفقدته، لكن لا بأس سأصل
به وأطلب منه أن يعود و...

- بابا.. ما!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

- !!!!!!!!!!!!!

- أريد بابا!!!!!!!!

أصابني كدماتاً بالجوف، فلم أشعر بعشي إلا وأنا أرحها بعف،
صارخة:

- من قال هذا؟!!

بطء أشارت بيدها إلى رأس الدب ذي العيين البرتقاليين

في هذه اللحظة شعرت في هذه اللحظة فهمت. في هذه اللحظة
أدركت الحقيقة كاملة بلا رتوش..

وها أنتكبت أكبر خطأ في حياتي كلها!..

تركنت طفلي وأسهرت أعين إلى الستار المخاور للمنزل، لأحاول
الاتصال بروحي يجب أن أسمع صوته الآن، ويجب أن يعود إلى المنزل
اليوم!!..

وصلت إلى الستار وطلبت الرقم بأصابع مرتجفة..

و مع مرة كان يحبي فيها الرين المستمر كنت أفقد أعصابي أكثر
وأكثر.. أين أنت أبها الوغد؟!!

وارتفع ذلك الصوت المقيت في أعماقي يردد- لقد مات - لقد مات
لقد مات - لقد مات. لقد مات.. لقد مات. لقد مات.. لقد مات - لقد
مات.

و بعد محاولات استمرت لساعة كاملة، أصبح عدي يقين أبي تحولت
إلى أرملة..

أرملة مسئولة عن طفلة محبولة..

(رنا).. لقد تركتها بمفردها.. يا إلهي!!..

و هكذا عدت أسرع الخطى إلى المنزل وأعصابي تحرق في رأسي، وحين وصلت إلى المنزل كنت أتمنى شيئاً واحداً..

أن أعر على ابنتي حية!!

و الواقع أنني عثرت عليها حية الواقع أنني أذكر هذا المشهد بالذات جيداً، فانا أراه في كل لحظة من حياتي وحتى الآن الواقع أن أحداً لم يصدق ما رأيته أنا في تلك اللحظة..

كانت ابنتي تقف في صالة المنزل وعلى وجهها تعبيرٌ جاف محيف، بينما صولها الخافت ينادي:

.. أمي.. أمي..

لم تكن شفاهاً تتحرك، لكنني كنت أسمع صوتها واضحاً، وحين انتهت إلى مصدر الصوت الحقيقي، تجمدت الدعاء في عروقي..

وما حوذة تجاوزت ابنتي التي تحولت إلى تمثال صامت لم يطق إلى يومنا هذا، وحملت رأس دمية الدب دي العيين البرتغاليين الرأس الذي ارتفع

منه صوت ابنتي الخافت يقول:

.. أمي.. أنا هنا!!..



— أصغر —

سوف أخبرك بالقصة كلها لكن من فصلك لا ترفع صوتك

إن اعصابي مرهقة بما يكفي ولا أتحمل أي نوع من الحماس بتطوع به الآخرون..

في مراجع الطب يطلقون عليها اسم (راشوبسيا) قليلة هي حالات (الراشوبسيا) قليل هم الأطباء الذين سمعوا عن (الراشوبسيا)

تقول مراجع الطب إن مرضى الصفراء - حالات محدودة جدًا من مرضى الصفراء - يرون العالم أصفر هناك عقاقير معينة تسبب الحالة دائمًا..

من المحبب أن تر العالم وقد صار مصابًا بفقر الدم لو رأيت هذا على شاشة جهاز التلفزيون لأصابت الخلع وجريت إلى أقرب خبير إلكترونيات ليعالج هذا الخلل، أما أن تراه بعينك وأنت تعرف أن هذا هو ما تراه فعلاً، فإن هلعك لا يوصف بكلمات أما الأكثر إثارة للتوحش فهو أن هذه ليست حالة (راشوبسيا) لا يوجد سبب يفسر ما تراه الآن فهل هو الجنون؟

• • •

اسمي (محمد صري).. لا بد أنك خمنت ذلك.. لماذا؟..

لأنه لا يوجد واحد آخر في العالم يراه أصفر سوى (محمد صبري)

بدأ كل شيء كما تعلم عندما صحت من النوم ذلك الصباح لأحد أن كل شيء في الكون أصفر فركت عيني مراراً ونحيت إلى الحمام وعسلت وجهي وعيني غسلتهما حتى احترقنا تقريبا ثم نظرت للكون من حولي أصفر..

ماذا دهاني؟.. ماذا حدث؟..

فتحت نافذة ونظرت إلى السماء. ما زالت فيها ورقة احططت باللون الأصفر فصار المريج أقرب للحضرة من قال إن الأخضر جميل؟ أنا لم أر في حياتي ألح من هذه السماء الخضراء..

عدت للداخل وحاولت أن اتماكك.. ثمة شيء ما خطأ..

كنت أمني قد صحت من النوم متثابة خرجت من غرفة النوم وهي تحك شعرها.. ويبدو أن وجهي أثار قلقها لأنها سألتني:

— ماذا بك؟

قلت وأنا أوسع عيني عن آخرها:

— أصفر.. كل شيء أصفر!

— بسم الله الرحمن الرحيم!

سألتها وأنا أرتجف في جنون:

— هل ترى العالم أصفر من حولك؟

قالت وقد زالت عنها إشارات النوم في لحظة:

— لا كل شيء على ما يرام لا بد أنك مرهق إن عادة السهر مع أصدقائك هذه..

قلت في عصبية وأنا أبعد عنها:

— لو كنا بقضي أمسياتنا في احتساء الخمر وتدخين الحشيش وقتل الأطفال فهذا غير كاف لتبرير ما أراه الآن..

عندما انصعب اليوم صرت واثقاً من أن ما أراه لا يراه أحد سوى

ومر الوقت كالكابوس حتى دنا عقرب الساعة من اثنية في هذا الوقت يتشاءب الكهنة ويتجهون — حاملين أسرارهم — إلى عياداتهم الخاصة ليبيعوا مقابل المال الكثير منه وأنا بحاجة إلى كاهن سامعته ما يطلب مقابل أن يمنحني قبساً من علمه..

الكاهن الذي قصده هو د. سمير عبد العليم دكتوراه في طب العيون ورميل عدد من الكليات الغربية أجلس في عيادته أرقب العالم الأصفر ماذا لو كتب علي أن أراه بهذا الشكل ما بقي لي من عمر؟ لا

لا لا مستحيل ما أراه علامة مرسية لا ريب فيها وهذه العلامة المرسية سوف تعلن لكاهن الأكبر عن مرض أكبر وأخطر مما يخطر على بالك في لكن ما المشكلة؟ من يريد أن يرى العالم أصغر مما ينبغي له من عمر؟ هذا حين حسب مائة في الخراب، كان آخر شيء أرحوه هو أن يقول لي:

— أنت سليم تمامًا..

ما تخشاه قد حدث.. إنها لعنة وأنت أول ضحاياها..

قلت له في عصبية

— لكنني أرى العالم أصغر!

قال لي حنكة:

— عيبك سليمان تمامًا رؤية العالم أصغر تحدث في حالات محدودة

جداً وبالتأكيد أنت لست حالة منها..

— والعمل؟

أشار إلى عيونه وقال:

— لا مشكله هنا (وأشار إلى رأسه بحركة ذات معنى وقال) مشكله

ها..

— تعني أنني مجنون؟

— الخيون كلمة ابتدئها من فرط الاستعمال هاك كلمة أخرى

اسمها الغصاب هاك أمراض في الملح تسبب استقبال الخواص بشكل خطأ لا أعرف فقط أميك أن أتحدث عن ممكني وممكني لا يوجد فيها مرور لرؤية الأصفر..

هكذا فارقته أحر أديال الحية ومخزات كالموم مغاطيسياً انجذبت إلى شقة أخرى في البناية التي تجمع بالكهنة هذا كاهن مح لا بد أنه يملك الجواب..

ثم بات رد كاهن الملح سريعاً بل أرسلني إلى كهنة آخرين قاموا بفحص رأسي بالأشعة..

وكهنة قاموا بتوصيل أقطاب مخي وقرأوا النتائج على الورق.

وفي النهاية قال لي الكاهن الأكبر ما كنت أخشاه:

— أنت سليم تمامًا!

— لكن ما أراه ليس سليماً!..

قال باسمًا:

— إنه يرهق لا شك فيه متناول بعض المقويات وأعتقد أنك

مشفى خلال أيام..

أي انه قال بعد كل هذا الجهد ما قاله أمي التي لا تقرا ولا تكتب بعد
ثانية واحدة.. ماذا يعلمون في تلك الكليات إذن؟

أصفر..

العالم كله أصفر السماء والسيارات وشعاع المبات والأرهدر
وحفائب الطلبة والكلاب الضالة وعربات الإطفاء وإشارات المرور
أصفر أوراقتي وثوبي الداخلية وشاشة التلفزيون ووجوه أصحابي
أنا الوحيد الذي يعاني مشكلة كهذه وأنا الوحيد القادر على حلها
سوف أسترجع ما كان في حياتي الشهر الماضي...

• • •

ليلة الخميس عند صديقي (شريف) عندما استبدت الملل ليلاً وقلت
له إنني أعرف لعبة مسلية حقاً...

هات ورقة من الورق المقوى واكتب عليها الحروف الأبجدية كلها هات
كوباً مقلوباً اجلسوا يا شباب حول هذه المصدة ولبصع كل ما إصبعاً على
قاعدة الكوب ولنظلم المكان.. منجرب تحضير روح..

(شريف) كان قلقاً لأن هذه التجارب تتم في دارة لكنا محرمين منه

وهكذا جلسا وهكذا مضى الوقت ونحن سنظر أن يحدث شيء

أحياناً كان أحداً يطلق مواء مفاجئاً فنشب في الهواء متريس . عندها كان
يصحك بينما ننظر له في قسوة..

— "لا يُستحب المزاح في أمور كهذه.."

سنظر أبادل النظر مع (عصام) و(جمال) أنقضى ان أرواح الكوب
بنفسي لأداعبهما.. لكن لا.. دعابة قاسية هي.

ومر الوقت.. وهنا يرتفع صوت (شريف):

— "كفى.. واضح أن هذه خزعبلة..."

ها بدأ الكوب يتحرك لا خداع في الأمر لا أحد منا يتحرك
بنفسه.. أنا متأكد من هذا..

يتجه الكوب إلى حرف (الكاف) ثم حرف (الفاء) ثم (الياء)

ك - ف - ي

ك - ف - ي

يهتف (شريف) لي حماساً مخرجاً بالهلع:

— "كفى.. يقول لكم كفى!"

الكوب يواصل الحركة:

ا - ن - ت - م / ت - ل - ع - ب - و - ن / ب - ا - ل - ن - ا - و

س - ت - ح - ل / ب - ك - م / ل - ع - ن - ه - ل - ل - ح -
 - ي - ا - ط - ي - ن

هنا فقط لم تتحمل أعصاب (حريف) أكثر..

صرخ وأضاء النور ثم هتف بنا

— "انتهى! لا أريد هذه الأمور في بيتي بلدات لا أريدها في عرفة

نومي!"

ثم حمل الكوب وأطاح به من النافذة..

قال (جمال) بصوت مبسوح من فوق التوت:

— "ما رأيكم؟"

قلت بصوت مبسوح أكثر.

— "كان هناك شيء يقيناً.. وقد لبي لداء!"

قال (عصام) وقد بدت عليه الجدية:

— "المشكلة هي.. هل انتصرف؟"

نظرت له ونظرت للرفعة ولم أستطع الرد..

كان هناك شيء وقد أشرنا بأن لعبة الشياطين ستحل بنا لكالم

نعرف بعد هل انتصرف أم لا. الآن حتماً أفكر في الأمر يبدو لي هذا
 متاريو لعبة..

هل هي لعبة الشياطين حلت بعبي؟ ومدا عن باقي المتورطين ملوثي
 الأيدي؟..

• • •

استرجع ما كان لي حياتي الشهر الماضي..

في مكتب الدكتور (داود) أستاذ الكيمياء في كليتي..

لقد استدعاني - ليومني طبعاً - في ذلك الثلاثاء الحار دُخِب
 مكتب فلم أحده لكي قنرت أنه عائد حالاً هناك كوب ماء على مكتبه
 وفدح قهوة ساخنة..

هكذا سمحت لنفسني بالجلوس..

رحت أقامل صور أسرته على الجدار من الغريب أن لهذا الرجل أسرة
 مثلك يلبس المئامة ويجلس أمام التلفزيون ويبحث في أصابع قدميه لم يولد
 من بطن أمه بالنعطف الأبيض حاملاً تحت إبطه مظروف أوراق لامتحانات

الطقس حار فعلاً هكذا مددت يدي إلى كوب الماء وجرعت جرعة
 لا بأس بها مد طفولي أعني تلك المشكلة أما أشرب أولاً ثم اندرف بعد
 هذا..

وهكذا أدركت أن هذا الذي شربته ليس ماء .. إنه سائل كوي له مذاق الرينق لو كان للرينق مذاق .. بصفتي في صديلي ثم سميت الأمر لأن الرجل دخل المكتب لحظتها فهبت واقفاً..

قال لي وهو يخرج أشياء من جيبه:

— اه .. ها هذا آيب يا أبا جهل .. إن درختك في امتحان أعمال السنة..

ثم تصلب ونظر إلى الكوب الفارغ وهتف:

— "من فعل هذا؟"

كنت أعرف أنني سألام على شيء ماء، فهرزت رأسي في غباء بما معناه أنني لا أعرف.. قال وهو يعيد تفحص الكوب:

— "عريب هذا .. كان خطأ فادحاً أن أضع المخلول في كوب ماء لكي لم أتوقع أن يدخل أحدهم مكنتي .. هذا ما تفعله الأمهات الجاهلات حينما يصبون صودا الفسيل في أكواب ماء لتبدو كاللبن، ويشرها الأطفال كل حالات احتراق المريء في عصر تعود لهذا السبب القبيح.."

وحك رأسه في ضيق وغمغم:

— "وأنا فعلت الشيء ذاته.."

سأله في حذر وأنا أتحسس بطني:

— "هل ما كان في الكوب صودا غسيل يا سيدي؟"

— "لبنه كان كذلك .. إنها تجربة أقوم بها حالياً وتائجها هي .."

ثم بدأ عليه نفاذ الصبر وقال وهو يجلس خلف مكتبه:

— "أنا متعكر المزاج الآن.. عد إلي في وقتٍ آخر.."

متعكر المزاج؟.. ومنذ متى لم يكن كذلك؟

الآن أتذكر هذا الحادث وأسأل نفسي: هل للسائل الذي كان في الكوب علاقة بما حدث؟

• • •

استرجع ما كان لي حياتي الشهر الماضي..

(وسلوى) الفتاة التي صارت كل شيء لي حياتي تسد رأسها إلى الشجرة..

لم أر حتى هذه اللحظة إنساناً أو جماداً أو مكاناً أو حيناً أجمل ولا أرق منها.. لقد ذهبت بصواي تماماً..

أذنو منها وأمس في أدفا كم أحبها..

تنظر في شروود إلى الأفق وتغمس:

— "لا أعرف .. لو انت عرفت حقيقتي .. لو عرفت من أنا حقاً .. فلربما

بدلت هذا الرأي

هذا مشهد من فيلم عربي هل متفادحي بأن أمها واقصه أو أن أبها هو (خط) الصعد؟

نقول وهي تتهد:

— أنا من عالم آخر أو الأشياء ليس كما نروها اسم أسمع الأصوات ليس كما سمعناها أنتم.. أنا مختلفة.. هل تفهم هذا؟

فعلًا هي مختلفة مد جاءت إلى الكعبة مد ثلاثة أشهر وكل واحد ما يدرك أنها مختلفة.. لقد جاءت من عالم آخر فعلاً..

قلت لها

— أننى أن أكون معك في هذا العالم..

نقول وهي تنظر لي في شفقة:

— لن نحب هذا يا مكي. ربما تصحو يوماً لتجد السماء حصراء والعشب أحمر.. ربما تسمع رائحة الياسمين وتشم النجوم.

— ما دمت معك فلا أبالي لو شممت عبق الحمير وسمعت الطين

ضحكت كثيراً ثم قالت لي في ثبات:

— هل أنت متأكد؟..

— متأكد..

مدت لي إصبعها وسمت:

— فلم أخرج إصبعي وسأخرج إصبعك سوف يتبادل الدماء وهنا نصور من عالمي وأصور من عالمك..

لم يد لي الأمر صحب إن التهاب الكبد الوبائي يتقل بطريقة مائة على ما أذكر لكن الروماتية جعلت كل شيء ممكناً وفعلت كما طلبت واسترجع دماها..

قلت لمسي وقها إها روماتية كل الروماتيات يقس الكلام دالة..

لكن — الآن يتصلب شعر رأسي — ماذا لو لم تكن قرح؟ ترى الأشياء لا كما نراها نحن.. السماء خضراء؟..

ترى أين كانت (سلوى) قبل أن تظهر لي كليتها؟ لا أحد يعرف عواها أو رقم هاتفها ولم يرها أحد تأكل أو تشرب من قبل

وأنا خلطت دمي بدمها

• • •

استرجع ما كان في حياتي الشهر الماضي...

صديقي (علاء) هو الذي أحضر اللقافة...

قال لي صاحكًا

— "لم يجرؤ أحد على فتحها قط..."

صحكت بدوري في حكمي ونعسيتها كان ملمسها عجيبًا فعلاً

قلت له في قلق:

— "هذه قمة خطورة.. سرقة آثار لا يمكن إنكارها..."

قال وهو يضع اللقافة في يدي.

— "من سرق ماذا؟" قلت لك إني وجدتها في الأقصر. ولو لم أدها

لي جيتي لأفعل أحدهم نفس الشيء..."

قلت له في شغف:

— "هل تعرف شيئاً عنها؟.. إلى أية أسرة تنتمي؟..."

مط شفته السعلى بمعنى أنه لا يعرف ثم أضاف ساخراً:

— "تتظاهر بالمعقبة. ولو قلت لك إنها من الأسرة السادسة مثلاً لما

فهمت شيئاً، ولما استغدت من هذه المعلومة..."

ثم أردف وهو ينظر حوله في حذر:

— "هذه الأشياء تكون ملعونة. رأيي الخاص ألا تجارف بفتحها."

قلت في ضيق:

— "وهل تريد أن نبقها للأبد كحِزر؟"

— "لا أعرف..."

— "الفضل قتل القط، وأنا قطٌ كبير..."

ومددت يدي أعالج أربطة الكتان المخيطة بها. كانت هناك لوحةٌ على

صدر الشيء. لوحةٌ دقيقة أبيض غثل عين (رع) وقد حرحت منها اشعاعات

صفراء... كأنها شمس أخرى...

— "جيلة... لوحة قبية."

— "لكن ما معناها؟"

— "عالباً تعد بأن (رع) سيحرب بيت من يصح هذه اللقافة."

وواصلت الفصح. أخيراً بدأ لنا الجمود العملاق بحجم كف يدك

كان مثيراً للاشتزاز، لكنه جعل أنفاسنا تنفخ في انبهار.

قلت لـ (علاء):

— "كما ترى لم يحدث لنا شيء. لا أعقد أن الفراعنة كان عددهم

وقت كاف لحماية مومياء جيران..."

اليوم أفكر في الأمر ملياً. لماذا عين (رع)؟ ولماذا اللون الأصفر؟

أسترجع ما كان لي حياتي الشهر الماضي..

هل هي لعبة الشياطين حلت بشباب عاث يلعب بالدار؟ أم هي وصفة
كيميائية شريرة ذات آثار جانبية مخيفة؟ أم أنني فعلاً عبرت لعالم (ملوى)
وصرت منه عالم الدين يرون كل شيء بلون مختلف؟ أم أن لعبة كهة
(رع) أصابتني...؟ أم أنه لا تفسير هالك؟

كل شيء من حولي أصفر..

الكنب الأبواب رجال الشرطة القفط السماء السيارات
شعاع النيات الأزهار حقائب الطبية وجهي في المرآة الكلاب
الصالة عربات الإطفاء أوراقني ثيابي الداخلية شاشة التلفزيون
وجوه أصحابي ساعة الحائط أوراق العملة الخديقة ثوب أمي شعر
أبي الهاتف متاحر وسط البلد الشاي القهوة السحائر الخمران
معطف الدكتور (داود)..

أصفر..

وأنا جالس في غرفتي وحيداً أسترجع خيط الأحداث وأفكر ما
الشيء الذي جعلني أرى العالم أصفر؟..

أنا لا أعرف.. فهل عرفت أنت؟

• • •

أخضر

• الواقع أنني أكره عملي هاهنا . الواقع أنني لا أجد جدوى لحياتي ذاتها
الواقع أن الشيء الوحيد الذي يدفعني للاستمرار هو الدكتوراة (مقال)

• • •

السبت 15 مايو..

القائدة الوحيدة للملل هي أنك تجد الوقت الكافي لكتابة مذكراتك
صحيح أنه لا يوجد شيء ذو قيمة في هذه المذكرات، لكنها مذكراتي أنا ولا
لعي أحداً سوى لا أحتاج لأن أكون رائد فضاء لأحظى بشرف كتابة
مذكراتي!

أنا عامل نظافة بالمساحة، وهذا قد يدفعك لترك القصة والانتقال إلى
القصة التالية، لكن من سيتجوررون امتعاضهم من عملي هذا، وسيواصلون
القراءة، قد يكتشفون أن حق عمال النظافة قد يوجد لديهم ما يقولونه في
بعض الأحيان..

هذا هو ثاني أيام عملي في مؤسسة (اسم لاتيني معقد لا يمكنني نطقه أو
حتى كتابته!) التي تدير سلسلة من الأبحاث العلمية عن أشياء لا يعرف إلا
أقله القصر منها بالصبط. أحدهم يقضي حياته أمام قارئ إيض في قفص،
وآخر يحرق الفواكه بعقاقير عجيبة، وهناك من ينظر طيلة اليوم إلى شريحة

صينة عبر ميكروسكوب، ليدون ملاحظاته كل نصف ساعة

و هناك الدكتور (مال)..

حين عرض عليّ قريبي - وهو عامل نظافة هو الآخر - العمل هنا، لم اكن متحمساً عليّ الاصلاح، لكني كنت في حاجة إلى المال أي حال بأي طريقة ولاسي لا اجد السرفه او الصب ومصاب بمرض نادر في العصابات معني من العمل كدع متحول، بد أن العمل كعامل نظافة هو الحل الأمثل لي..

أقبل القدمة من سلة المهملات إلى العربة التي آخرها أمامي طيلة اليوم، ثم أفرع العربة في اسوب خاص في قبو لمسي هذا هو كل شيء، والأمر لا يحتاج لمواهب خاصة كما لاحظت المشكلة هي أنني متعلم - حصلت على الإعدادية - وعين العلم الوحيد هو أن نصمت قد نعرف عن ممارسة الأعمال التي يؤديها الجهلة بنفس راضية مطمئنة..

لكن هناك الدكتور (مال) .

أعشق القراءة مد صغري، لكني من أسرة لا تسمح إمكانياتاً المادية باتباع الكتب إلا المستعمل منها وإن نقصت صفحاته، وها هي المشكلة دي تتكرر أن ها أقضي طيلة اليوم، في لا شيء تقريباً، ولا يوجد أمامي ما يصلح للقراءة سوى تلك المرجع الصحفه، ذات الأغلفة المصفولة.

والكلمات اللاتبية التي نحتاج إلى أكثر من شهادتي الإعدادية لهلك طلابها..

الحل إذن.. أن أكتب مذكراتي.

وسيلة لا بأس بها لقفل الوقت، وإن كان عليّ تحمل نظرات استغريبة من زملائي والعاملين هنا..

عامل نظافة يكتب مذكراته.. باللهول!!

لكن هناك الدكتور (مال)..

إنها إنها رهرة هذا المكان السمة الوحيدة التي غر غير الممرات الكنية لهذه المؤسسة الوحيدة التي أقنعتني بأن العمل هنا لا بأس به، إن كنت ماصب انتمامة منها كل يوم وأنت لم تر انتمامة الدكتور (مال)!

صدقني.. إنها تستحق..

لكن ما الذي تفعله الدكتور (مال) بالضبط؟!

الواقع أن هذا يستحق بعض الاهتمام..

• • •

الأحد 16 مايو..

امتع ما عكس لإنسان فعله هو أن يراقب الذكورة (مال) وهي تعمل
ترتدي المعطف الطبي الأبيض تدخل الى تلك الشجيرة الطيبة التي
صممها المؤسس خصيصاً لها تمارس بحرها على البساتين وموسيقى
هادئة تبعث من جوار السجل بالنسبة لهم من يديرون المؤسسة
لكل باب داخل الشجيرة اسم علمي ممن، ومنف بالتجارب التي تمت على
هذا البات، والذكورة (مال) ذاتها مثل ملفاً هي الأخرى، يسجل فيه كم
ما حققته للمؤسسة حتى الآن من نتائج.. هذا بالنسبة لهم..

بالنسبة لي كانت الذكورة (مال) تبدو كسدريل وسط الزهور
وأوراق البساتين، كما تصنع معهم لوحة طبيعية متحركة، هي بطلها
الوحيدة..

كانت الذكورة (مال) دائماً ما ترحب بي داخل محبتها، وكثيراً ما
مركبت أراقبها وهي تحمل أصيص ررع، لتضعه على جهاز عجب، يُخرج
شرائط ورق عليها خطوط متموجة..

أي أتمنى أن يفهم معنى هذه الخطوط، لكن الذكورة (مال) شرحت
لي إنها تعبر عن إحساس البات، فهي تنساب بعزلة حين تتوفر للبساتين
البيئة المثلى، بينما تتلوى بحنون، إذا قطعت أحد أوراق البات وهو على

الجهاز..

"البات يشعر ويتألم.. وربما يُحب!"

هكذا قالت لي الذكورة (مال)..
● ● ●

الاثنين 17 مايو..

اليوم أخبرني الذكورة (مال) أنهم عثروا على فصيلة بادرة من
البساتين على يدور هذه الفصيلة بالتحديد سبع يدور لمزيد من الدقة
أخبرني الذكورة (مال) أن البدة الواحدة تساوي ثروة، لكنها إن
مجمعت في ررع أحد هذه الدور في البيئة المناسبة، وقامت بإجراء تجاربها
على البات ذاته، فقد تحقق السبق العلمي الذي طالما سعت إليه

ساعدتها بنفسها على إعداد أصيص الررع، وذلك البدة الأولى في
المعاد الصناعي الذي يحتوي على كل ما يشتهي البات من مواد
وأصلاح لم يكن الأمر شاقاً بالطبع ولو كان، فالذكورة (مال)
تستحق

أخبرني الذكورة (مال) أن الأمر سيستغرق وقتاً طويلاً، وهذا معتاد
وأنا أثق في كل ما تقوله الذكورة (مال)..
● ● ●

كل ما عليّ فعله هو أن أدعو الله أن يبت هذا البات سريعاً من أجل
الدكتورة (مال)..

وهذا ما سأفعله!

• • •

الثلاثاء.. 18 مايو..

لكم هي متفانية.. لكم هي رائعة..

أراها كل يوم - الدكتورة (مال) ولا أحد سواها - تعني بأصيص
البات الجديد. كأنه طفلها الرضيع أحياناً أشعر أن هذه الدور داخل
الأصيص هي أول رابط حقيقي ما - كما أبنا الذي لم يولد!

نجلس يومياً نراقب الأصيص لساعات طويلة، منتظرين تلك اللحظة
الجهمية، التي سيخرج فيها البرعم الأخضر إلى السماء، لعل عن
وجوده.. لكن الانتظار مطول ونحن نعرف هذا..

رأيتها وقد استبد بها الفصول، تضع أصيص البات في الحيار الذي
يسجل الموجات التي يصلوها النبات، وقالت:

سأعلى الأقل سنعرف إن كانت البذرة حية..

لكن شرائط الورق التي خرجت من الجهاز، كانت تعمل خطأ مستقيماً

طويلاً، كالذي يصدره جهاز رسم القلب حين نحس لحظة الهبة - لقد رأيت
جهاز رسم القلب حين كان متصلاً بوالدي - يرحمها الله - وأعرف معنى
هذا الخط السخيف جيداً..

بدا الإحباط على الدكتورة (مال)، وقالت:

سأتركه للغد، ثم سأجرب مع بذرة أخرى..

حاولت مواصلة، لكنني وكما قلت من قبل، لا أملك له سوى
الدعاء..

وهذا ما سأفعله مجدداً..

• • •

الأربعاء.. 19 مايو..

لا زلنا ننتظر..

• • •

الخميس.. 20 مايو..

قررت الدكتورة (مال) الإنقاء على الأصيص الأول، لكنها وصعت
البذرة الثانية، في أصيص جديد، ولا زلنا ننتظر..

• • •

الجمعة.. 21 مايو..

مق يأتي القدر!

• • •

السبت.. 22 مايو..

مريضة من الإحباط!

• • •

الأحد.. 23 مايو..

لم أتوقع أما أو الذكورة (منال) تلك المفاجأة المسجلة!..

كما أول من وصل أي مؤسسة كمدينة مدبرة، لتسرع موريا إلى
المخيم الطبيعية على أمل مستمر في جديد.. أي جديد..

لك هذه المرة حين وصل كان المشهد أمام أشبه بمعجزة

كان أصيخ الررع أماما وقد تدب البات المادر بصورة جهمة،
في صورة مجموعة ضخمة من السيفاد، الخصر، الملتفة حول نفسها بتشكيل
عجيب معقد، وبارتفاع لا يمكن حدوثه في ليلة واحدة..

ليس هذا فحسب، فأحد الأصص كان على جدار تسجيل الموحات،
الذي أخذ يهدف في وحوها شرائط ورق يحمل تموجات عشية، لم أر مثليها

من قبل..

لا يمكنني أن أصف لك كيف كانت حالة الذكورة (منال)، لكني
سأخبرك دهورها من هذا الذي حدث، وسأفصل لك اللحظة التي أمسكت
فيها شرائط الورق، لتعحص التموجات باهتمام علمي يليق بها تمام

استغرقت وقتاً طويلاً، قبل أن تقول:

- لست أفهم..

تجرات أنا لأسأل

هل يتألم هذا النبات؟ أعني ربما لا تنامبه البيئة هنا..

لكنها هزت رأسها لتقول:

- لا هذه التموجات طبيعية، لكنها فضيحة، كان عامة كاملة التي
نصلرها..

وعادت لتعحص الأوراق، مكررة:

- لست أفهم.

لدت بالصمت لاسمح لها بالتركيز، وحين طال صمتها قررت أن أتركها
لأواصل عملي - إني لست المستول عن مراقبتها هنا - لكني قبل أن أترث
المكان، التفتت إلى الذكورة (منال) لتسأل:

لحظة ان لم صبح هذا الاصبع في احدى امني كيف انشغل
ادد!!

• • •

الابن 24 مايو.

الدكتورة (منال) تغرت.

لم تعد تلحظ وجودي، بل أصبحت لا تلاحظ أي شيء يحدث حولها،
وقد انصب اهتمامها كله على ساعها النادر، يدي بدأت أمسه دون سبب
مفهوم.

إيه.. إنه يتأفسي على الدكتورة (منال)!

اليوم مررت عليها لتسعة آخر الطورت، حين حدث ذلك الشيء
العجيب الذي أثار هلمي..

كانت الدكتورة (منال) تمسك بأحد أوراق النبات تفحصها بعناية
مبكرة، وكنت أنا عند الباب في هذه اللحظة، أناديها قائلاً:

-أي خدمة يا دكتورة (منال)?

ويبدو أنها كانت مستغرقة غاماً فيما تفعله، إذا انصت على صوتي،
والصمت بي وحدة وهي لا تزل تمسك بورقة النبات، لتقطعها دون قصد

دون قصد لكن النبات لم يقدر هذا..

فجاء صوت فروع النبات كنه بحركة العواية عجيبة، وأخذت ذلك
الخيار الأخضر في سماء الغرفة..

أخضر.. أخضر.. أخضر.. لتوان استحال لون المكان كله إلى
الأخضر..

صوت المنس الصادر عن النبات امرح بصراحة الدكتورة (منال)
المدعورة، فلم أشعر بنفسي إلا وأنا أقف في اللون الأخضر أمامي، لا يهدأ
من أي شيء قد يجرؤ على التعرض لها..

كانت الروية معدمة أمامي، لكن العجب أن هذا البحر كان بلا
رائحة على الإطلاق كأنه مجرد صبح للهواء، نكس تجاهلت هذه الحقيقة
حينها وأحدث الخمس طريقي حتى اصطدمت بدراع الدكتورة (منال)
لأقبض عليها بقوة، هاتفا:

-لا تفنفي.. سأخرجك من هنا..

لكن بدأ حديدية قبضت على عقي بغنة لتخرسني، وتبدأ في اعتصامه
بقوة لا ترحم!!

وكرر فعل طبيعي اردادت فود قبضتي التي تقبض على دراع الدكتورة

(مال) فارتفع صوت صراخها أكثر. وقد أصاب هذا اللون الأحمر -
اللبن - بالعمى تمامًا..

كتب أختي وبدا وكأن حجري مستهشم في أيدٍ لخطه، فحركت ذراع
الدكتورة (مال). لاحدون إبعاد تلك اليد المحيطة عن عيني لكن دون
جدوى..

احسق ببط واللون الأحمر نهج يغمرني من كل صوب!

يتحول ليلون لأحمر إلى أسود وقد غاب الهواء من حملي، وسراحي
ذراعي حوارى سسسلام وصراخ الدكتور (مال) بردد في أذني و
...

وما حدث بعد ذلك رواه لي قريبي الذي أحضرني إلى هنا..

صراخ الدكتورة (مال) أحدث الجميع رن الخيفة، حيث تعادبوا على
إخراجنا حين - لحسن الحظ - لكن هذا ليس كل شيء..

شيان أخبرني بمما قريبي أثاروا ذعري، وإلى أقصى حد..

أولاً أنه لم يكن هناك دخان أحمر حين دخلوا الخيمة لم ير أحد
هذا الدخان!!

ثانياً.. أن اليد التي كانت تقبض على عيني، والتي كادت تفلي

كانت يد، الدكتورة (مال) دائماً!!

• • •

الثلاثاء.. 25 مايو..

لم أستطع الذهاب إلى العمل، إذ لارلت بح تأثير صدمة الأمس

تري أين هي الدكتورة (مال) الآن؟!!

• • •

الأربعاء.. 26 مايو..

الدكتورة (مال) لم تأت إلى العمل اليوم..

• • •

الخميس.. 27 مايو..

لقد بدأت أقلق على الدكتورة (مال) إنها لم تأت اليوم أيضاً

• • •

الثلاثاء.. 2 يونيو..

لقد أختت الدكتورة (مال)!!

قصبت الأيام الماصية في انتظارها ثم بدأت أبحث عنها، حتى أنني تمكنت

- بوسيلة ما - من الحصول على عنوان منزلها، وذهبت إلى هناك لأطمئن عليها - وإن كان هذا ليس من حمي في الواقع - لكني لم أجدها هناك كدلت..

أين ذهبت الدكتورة (منا) ١٩٩؟

• • •

الجمعة.. ٦ يوليو

لم أعد منتظما في كتابه مذكراي لكن ما حدث اليوم يستحق التسجيل حقا..

في الساعة مساء كتب أتبع ذلك الروح المعنوية الشهر، حين سمعت طرفا على باب منزلي، فهست مملأ لأفتح الباب، وإن أدعو الله ألا يكون الحارس قد استبد برفاتي، ودفعهم لمعني، إن ما، لكني حين فحنت الباب أطلت على الدكتورة (منا)، بأسامتها المدهة، بصيبي بخانه من الدهول عجزت معها عن النطق..

كانت هي من نطقت لقول:

مرحبا .

أين كنت ١٩ بحثت عنك في كل مكان أعني لقد فقت و

سارتد ملابسك وهيا بنا..

إلى أين؟!

إلى هناك.. إلى الخمية..

سأخاور كل التفاصيل التي لا داع لها وسأفهر إلى اللحظة التي دحما فيها إلى الخمية لسجد بيانا البادر وقد استطل حتى كاد يلامس السقف لست أفهم شيئا في النباتات، لكن عمو هذا الباب غير طبيعي وأنا أنت في هذا..

"هذا النبات غير طبيعي.."

فلنأخذ الدكتورة (منا) وكنت أعرف هذا عبقا، ثم واصلت -الدخان الأخضر الذي نفسه- لقد كان ذا تأثير غير طبيعي لقد قصت الأيام الماضية في دراسة تأثير هذا الدخان علينا..

سأنتها بملء:

سأهل توصلت إلى شيء محدد؟!

نعم نبيض يدك رجاء..

- لما ١٩٩

-لأنك لن تشعر بشيء..-

ماذا؟!!

وتحسست يدي بدهنة بحثا عن أي بص، فحولت دهشتي إلى دعر حقيقي حين شعرت بيدي الباردة مئة غمما، لا بص فيها ولا حياة

ألفت إلي الدكتور (مال) سماعة طيبة قانلة بداب الشرود

-خذ هذه لو أردت إياك، لكني سأخبرك بالنتيجة مسبقا لا

بعض... قلبك توقف عن الهمهمة.. مثل قلبي بالضبط..

شعرت بالسحب مما أسمع، لكن يدي الباردة ظلت صامتة، لا تنقل إلى أذني أي بص، فجريت أن أصح السماعة الطيبة على صدري، وبعد إصغاء استمر لبضع دقائق تأكدت لي حقيقة أن قلبي متوقف عن العمل تماما..!!

خط طويل مريض هذا هو ما سيسجله جهر رسم القلب لو وصلوه إلى صدري الآن.

سألت والأفكار تنور لي رأسي:

- وما الذي يعنيه هذا؟!!.. هل.. هل متنا؟!!

لكن إجابتها جاءت أكثر غرابة.

- لا... لم تمت... بل تحول..

• • •

السبت.. 7 يوليو..

من الآن عليّ الانتظام في تسجيل مذكرتي لتسجيل أي تغيرات تطرأ على جسدي كما طببت مني الدكتورة (مال)..

عادت الدكتورة (مال) إلى العمل، لتواصل دراستها على ذلك النبات الشيطاني، المستمر في النمو، حتى كاد يحتل الخيمة الطبيعية كلها، بسمائه المتلوية، وأوراقه التي تُصدر ذلك الغار الأحضر إذ قُطعت

يجب أن نفهم ما حدث لنا.. يجب.

حين عدتُ إلى المنزل، فحسنتُ جسدي أمام المرأة بحثا عن أي تغيرات، فلم أجد شيئا غير طبيعي..

لأرتُ محبفاً كتيب الملامح، ولا زالت عظامي البارزة تؤكد على فقري المدقع.

فقط لا قلب بص رغم استحالة هذا طبييا أو علميا كما أكدت لي الدكتورة (مال)..

لكنا قررنا الاحتفاظ بهذا كله سرًا، حتى تستطيع الدكتور (مال) كشف طبيعة ما أصابنا..

تري هل تستطيع الدكتور (مال) فعل هذا حقا؟!!

• • •

الأحد... 8 يوليو..

على الأقل أصبح هناك رابط حقيقي بيني وبين الدكتور (مال)

حالي العجيبه أزلت حواجز كثيرة بيننا، وأصبحت ألقى جم وفني معها في المهمة الطبيعية، حتى بعد انتهاء الدوام الرسمي...

لا حظا أنا فقدان شهيتنا للطعام، كأننا أصبح جسدنا الميت يأبى أي طعام. كذلك تقبضت ساعات يومنا إلى ساعتين فقط ويدو أنا في طريقنا للإصابة بالأرق الدائم...

الدكتور (مال) تحولت إلى آلة رصد، ترف كل ما يفعله النبات، وتدرس تلك التموجات المتصغمة التي يصدرها، على أمل أن نحمل لنا أي تفسير..

على كل حال لم يحمل لنا اليوم أي جديد..

فقط لاحظت أنني حين جُرحت يدي بطريق الخطأ، لم أنزف أي دم

مؤال آخر نتظر أن يجينا عليه هذا النبات النادر..

فهل يفعل؟!!

• • •

الاثنين... 9 يوليو..

لم بعد سام وأصبح الإرهاق هو السمة الغالبة علي وعلى الدكتور (مال)..
المستولون عن المؤسسة لا حظوا وضعنا ولم يبدوا أي اعتراض، ولا بد أنهم أعدوا ملفاً جديداً عني يسجلون فيه ملاحظات مبهره

لكن ملف النبات ذاته ظل يحمل علامات استهزام لا إجابات لها، حتى قررت الدكتور (مال) إحراء تجربة عجيبة لم أفهمها بالضبط، لكي سأنقل لك ما قالته لي حرفياً:

محاوّل تحويل هذه الموجات التي يصلها النبات إلى صورة أخرى من صور الطاقة، علّنا نفهم ما الذي تعنيه..

وعملًا بهذه القاعدة أحصرت الدكتور (مال) مجموعة عجيبة من الأجهزة، أحدث توصلها بالجهاز الذي يُسجّل موجات النبات.

وأخذت أنا أراقب هذا كله منظرًا أي نتيجة..

على كل حال مرّ اليوم سريعاً دون أن نلاحظ هذه النتيجة المرحوة
و ما رلنا ننظر..

• • •

الثلاثاء.. 10 يوليو..

يجب أن أسجل كل ما حدث بسرعة فلا وقت أمكنه

اليوم عكست الدكتور (مال) من حل لغز هذه التموجات، فلقد
استخدمت الـ لا وقت بسرعة الكمبيوتر فعلها وبرامج الترجمة
حولت لنا ما يقوله النبات إلى... لا وقت.. لا وقت..

الدكتورة (مال) أوصلت الأجهزة الحديثة بالكمبيوتر الذي قرأت
على شاشته هذه الكلمات الرهيبة:

(حان وقت عودنا هالك أحماد بشرية يصلح لعملية الانتقال)

هذه الكلمات كان يصدرها النبات في صورة الموجات المتصاعدة،
وهنا يفسر كل شيء..

أجسادنا مينة لأهنا لم تعد ملكنا، بل ملكهم..

من هم !!؟

لا أعرف ولن أجد الوقت لأفعل، الدكتورة (مال) وجدت حلاً جذرياً
للمشكلة كلها.

بها تشعل النار الآن في المحمية بعد أن حبسنا فيها حاولت معها
لكن...

رهابها..

السات إنه

• • •

الملف (1019) قسم الأبحاث العلمية

إلى ها تنهي المذكرات التي عثرا عليها بعد أن احترقت الحمية الطبيعية، ولولاها لما فهمنا شيئاً مما حدث..

الدكتورة (مال) وعامل الطاقة المسكني - الذي لا أفهم كيف كان يكتب مدكراته هذه - كما الصعيب الوحيدتين للحريق يبدو أن الدكتورة (مال) كانت تحاول التخلص من البات، لكنها فشلت!

البات لم يحترق كأن النار لا تؤثر فيه بالمرء وهكذا نمكنا من دراستهم ما حدث.. وما سيحدث..

البات كان يصغر غاراً خاصاً يؤثر على الأعصاب، ويصيب من يتعرض له بالجنون، وهذا يعني أننا لمجتمعا...

هذا هو السلاح البيولوجي الكامل كما أردنا، ولولا أن فوراً التضحية بالدكتورة (مال) لما تأكدنا من فاعليته..

يمكننا الآن إغلاق الملف..

وإعلان أن التجربة نجحت..

د عادل فهمي

أزرق

يطلقون عليها الزرقه الرمية..

الاسم نفسه مشير للتوحش لكنها علامة مهمة جدًا في الطب الشرعي لأنها تحدد الموضع الذي كانت عليه الجثة في الساعات القليلة التالية للوفاة. ولكم من متحر وجدوا الزرقه الرمية على ظهره، مما جعلهم يدركون أنه قتل قتلًا على الأرض، ثم علمه قتله على المشقة ليحدد رجال الشرطة.. إن القصص المشابهة كثيرة جدًا..

يطلقون عليها الزرقه الرمية..

وأنا أحب اللون الأزرق، وأكره أن يرتبط بشيء رهيب مثل الموت لكن - للأسف - يظل لون الجثث الباردة والأطراف الموشحة للبرق أزرق أردنا هذا أو لم نرد..



كنت طالبًا فقيرًا في تلك المدينة الساحبة العجور. لا تسأل عن الظروف ولا الصعوبات التي جعلتني أعمل في المشرحة. نحن لا نحار الوظائف التي نعرض عليها وقد كنت في حاجة ماسة للمال

كان صاحب المشرحة ومديرها ورئيس مجلس إدارتها هو عم (عثمان) وهو رجل نوي ظريف له حلد يشبه البادبجان الأسود، وكان من أمره اعتادت العمل لها منذ دهور في كل عام تطرح المستشفى ماقصة لمن تنوى

أمر المشرحة لأعلى إيجار. فكان هو يهور بها في كل مرة ومن يمه من ذلك يكن هو الجنة التالية الراقدة في هذه المشرحة..

ولسب؟ من قال ان عمل المشرحة ليس مرحاً؟ إنه حادوي يكسب كثير. ودحول اسولين في استنشي إيجاري إلى مشرحة هو لا احد يهرب عدها يعامل أهل اتوى كما يبقي أسعار سياحة لا تسمع عنها إلا في أفحم فادق البحر لأحر والس مصطرة إلى الدفح لأهم يريدون إهاء عدها هم سريعاً.

كنت أساعدة في عمله وبالطبع أنال حراً من الغيبة لم أكن أنفي راتباً، لكن السب التي كان يحكي إياها كنت تكفي لأسدد مصروفاتي وأرسل هاتين أو ثلاثة إلى أسرتي في القرية.

صفاً لم يكن أحد في بلدني يعرف طبيعة عملي كنت أزعج لهم أبي أسبح المستندات في مكتب ما لو عرف أبي بمصدر المال الذي أرسده لتشاءمت وأنت أن تمسه وهو تفكير قاصر طبعاً لأن العمل هو العمل لا بد من بئس ما يفتس في المجاري لتسليكها، ولا بد من بئس ما يضطاد الكلاب المصابة بالسعار والجرب، ولا بد من بئس ما يقوم بربط فكوك الموتى بالشاش هذه أشياء كصلاة الجارة إن قام بها واحد سقطت عن الجميع، وإن لم يقم بها أحد ألم الجميع..

على أن هذه المهة نفعاً لا شك فيه إنها تعلمك التواضع.. تجعلك متديناً بحق ما لم تكن لصاً أصيلاً مثل عم (عثمان). أنت ها تعيش في المنطقة الفاصلة بين الموت والحياة، وكل رباتك كانوا يرحون ويدحنون ويلبسون المكائد مد أربع أو خمس ساعات الآن هم أشياء رهية تو قد بانتظر من يربحها الراحة الأخيرة. إنها لعبة كراسي موسيقية اليوم أنت واقف ها وهم رقود غداً أنت راقد على هذه المنضلة وهناك من يقف.

لهذا كنت أكثر من قراءة القرآن وأحافظ على ميقات الصلاة بدقة

سوف أعترف بأن هذه الفترة هي أحصن فترات حياتي من الناحية الدينية..

اعتقد أن الأمر يتعلق بدرجة معينة من الشفافية ثمة حاسة سابعة أو ثامنة قد استيقظت في أعماقي مع هذه التجربة الغريبة التدبيرة معاشة الموت العرلة الجهد الصادق.. وفي الأيام الأخيرة تكررت معي تلك الحوادث الغامضة التي تمر بنا من حين لآخر تفكر في صديق فتجده أمامك. تشعر بانقباض فتحدث كارثة. الخ.. لكني لم أحاول أن أتوقف كثيراً مع هذه الأحداث..

بدأ كل شيء أمس..

في التاسعة مساء دخلت الخفة إلى المكان. حينما تمارس أية مهة لها

علافة بالطلب أو الموت، لابد أن تُعبر أدبنا صوت اعته وهي بعد في الممر الخارجى.. وكنت وحدي تلك الليلة..

كان الراقص على انحناءه رجلاً في الخمسين من العمر يبدو أنه ليس معدياً

وقال لي أحد الرحمن الذين جاء به، وهما رجلا م ازهما قط هما

— "رحلوه مع في اوراق الشجر لا بدو ان هك حريمه في الأمر لا اوراق.. إنه ناقص الأهلية.."

وقال آخر وهو يجهف عرقه:

— "ربما كانت أسرته تفتش عنه الآن.. وربما لم تكن له أسرة.. لا يعرف.."

رغبت الملاءة وتاملت وجهه ثم سألت في حيرة:

— "ما سر هذا اللون الأزرق الذي تلون به جلده بالكامل؟"

قال أحدهما بلا مبالاة:

— "وما الفارق؟ لو كان لونه أحر لسألت السؤال ذاته.."

وقال الآخر بلا مبالاة هو أيضاً:

— "ربما كان يشغل في الأزرق"

قفا دون أن يصححك، وكذا لم يصحك أحد هك دعابات تقال
لكها لا تطالب بجمهور أو حق أداء علي. تقال مجرد إحراج الملل أو
الضغط العصبي على كل حال لابد أن عبي ليستا على ما يرام فانا
اشعر أن المسعفين أيضاً لو تمما أزرق معنى هذا أنني أخرف

وهكذا تسلمت هديتهما الرهبة، ففتحت درج الكلاجة الكبير
ووضعت فيها ذلك البالس..

لم يكن الطب دراسي لكي قرأت كل ما وقع في يدي من مواضيع طبية
كتبت بالعربية هك حالات معينة من الموت بالغازات تسبب هذا اللون
الأزرق أول أكسيد الكربون يجعل لون القنبيل أحر لذا يسمونه (الموت
الأحر) لن أعرف الإجابة لكن دعني أؤكد لك أن ورقة هذا المتوفى كانت
تختلف عن ورقة المتوفى التي أعرفها كأن هك من ألقاه في دلو به طلاء
أزرق بمجرد وفاته..

بعد ما حلا المكان عدت إلى حطتي السابقة كروب الشاي ولعافة
البيع أعترف أنني كنت أدرس من حين لآخر وهي حطبة بالسبة من هو
مثلي في حاجة لكل ملهم، لكي كنت أسمع لصفي بها من وقت لآخر
لأعتقد أنني (أمرح) جوار لعافة التبغ الكتاب الذي كنت أدرس فيه أنا
طالب في كلية الآداب برغم كل شيء..

حاولت أن أذكر فيما أقرأ لبعض الوقت، لكن شعور غريباً من التوتر استبد بي أعرف هذا التوتر غير القابل للتفسير والذي يحدث أحياناً ويمضي أحياناً خوفاً لا لقد كتبت هذه الميزة عن أن تنظر في أي شيء سوى الملل

حبل أبي أبي اسمع صوتاً ما من داخل النلاحة هذا أيضاً شيء معتاد في الملهة لا بد حيناً تكون وحيداً ليلاً أن تسمع جديده من حيث يرفد الموتى ظهره ينصب ما شعر رأسك في البداية ثم نعلم مرة بعد مرة أن المصدر الوحيد للصوت هو عقلك المكسود..

لكني قررت برغم كل شيء أن أمض متهالاً انجذبت إلى النلاحة وفتحت درجها لعملاق كان المتولى حث هو لم يتحرك ارحب الملاءة وعدت لنظر إلى وجهه بالفعل تترايد الرزقة أكثر فأكثر لابد من تفسير هذه الظاهرة إنه رجل أشيب الشعر له ملامح سلسة أنه معشوق كمصدر السر وله شفتان رفيعتان حارمتان واضح أنه لم يتعدت كثيراً أثناء احتضاره..

قربان الشهادتين وأعدت غلق الدرج وعدت إلى مصدرة الدراسة

بعد قليل سمعت صخباً.. أعرف هذا النوع من الصوغاء..

كان القادم هو (مدير أعمالي) عم (عثمان) جاء ليمضي بعض الوقت هنا ويتفقد الأحوال..

لم يكن وحده كان معه رحلان وقد جياي بطريقه النوية الطريقة ثم افتادها إلى الحجرة الحادية الصغيرة التي كانت حتماً ثم جعلها مكتباً له، وهو أعرب مكتب يمكن تحيله مكتب له دوش يتدل من السقف ومسورة تنحدر على السراميك ثم يسهي كل هذا فيحاة وكان في المكان مكتب عتيق صدئ من طراز (إيديال) وثلاثة مقاعد خشبية من طراز مقاعد المفاهي لهذا كان يطلق على المكان بساطه اسم (الدورة).

دخلت إلى حيث جلس مع الرجلين وانتشر الدخان في هواء الغرفة الضيقة، فغلب له حبر القادم الغريب هو رأسه بمعنى أنه مطمئن لكل شيء ما فُعث موجوداً..

كان يتكلم بينما أنا أنظر إلى الرجلين..

هذا الوجه..

الرجل الذي يلبس قميصاً أبيض. هذه الملامح الوقور. هذا الأنف المعقوف الشبه بمنقار النسر.. هذا الشعر الأشيب..

أين رأيت هذه الملامح من قبل؟

• • •

بعد قليل خرج عم (عثمان) من الغرفة ليرى ما لدي..

كنت أجلس في تلك القاعة ردية الهربة والإصاءة أطلع كني عندما دخل علي. فسألته عن هذين القادمين معه قال وهو يصلح عمامته

— "صديقان.."

ثم اتجه إلى النلاجة ففتحها.. وسمعته يشهق..

نظرت إلى حيث وقف وأنا أتوقع منه تعلية عن اللون الأزرق، لكنه قال في حمرة

— "أين وضعته؟"

دبوت منه أكثر فوجدت أن الدرج خال.. نعم.. خال تماماً!

صحت في هلع وغباء:

— "كان موجوداً.. أقسم بالله أنه موجود.. أنا لا أفهم.."

نظر لي بعينه التي يكتسي باصهما باللون الأصفر كطيعة السود ولم يعلق.. فقط قال لي:

— "يبدو أنك مرهق.. هل عادر (المرحوم) النلاحة؟" لا أظن

كنت في جنون.

— "طيقاً لا أنا لم أفارق المكان. لم يسرقه أحد أنا لا أفهم أنا لا أفهم"

ثم صحت وقد تذكرت:

— "رحلاً سيارة الإسعاف أحصراه سوف يؤكدان لك الأمر"

قال وهو يغلق الدرج:

— "بما أن الحنة سرفت منك وأنت حاسر ما كالك (مقطف) وبما أنك تكذب أو تتخيل.."

— "لا هذا ولا ذاك ولا ذاك.."

في هذه اللحظة ناداه أحد الرحلين لظفر لي بسرعة ثم عاد إلى الغرفة التي كانت حماماً فصارت مكتبة..

كنت أنا أفكر بلا انقطاع، الرعب الحقيقي هو أن حواسي تخدعي الفصل أن يكون بيت قد هضم وفر، لكن لا تقل لي من فصلك إن حواسي تخدعي

هكذا ظننت أنك فروة رأسي كالحنايين محاولاً أن أفق أفيق من ماذا؟.. أفق من حالة اللاوعي التي تمر بي..

لا أعرف متى رحل الثلاثة لا بد أن عم (عثمان) لم يرد أن يصايفي

ثانية.. غداً سناقش هذه الأمور معي بشكل أوضح...

وأصمت الوقت أنظر في الكتب عبر علم كيف يجب أن أفكر

هل أصادحت شيء؟ كانت هذه أسوأ ليلة في حياتي لقد مر الوقت

ثقيلاً واستعدت كل المخاوف القديمة من الموت..

عنى سى في الثانية بعد منتصف الليل تذكرت ابن ريت تلك الملامح التي ربيها على الحنة رجل أنيب الشعر له ملامح بيضاء نفعه معقوف كمصدر السر وله شفتان رفيعتان حارمان أن هذا بالذات هو الرجل ذو القميص الأبيض الذي كان يجلس مع عم (عثمان) نعم لاشك في هذا..

لا بد من تفسير هذا هل فر الميت من السلاحه ليجلس مع صديقه؟

هل هو أخو الخولي التوام مثلاً؟

لمشكلة إني لو صارحت عم (عثمان) بهذا الرأي لأصمت نقطة أخرى

إلى سجل خيالي..

• • •

في الرابعة صباحاً سمعت صوت المحفة.. هذه المرة رأيت مسعثن

يدخلان المشرحة وهما يحملان محفة عليها وجه مكسو بملاءة

كنت أعرف هذين الرجلين جيداً، وقد حياني أحدهما وقال:

— وجدوه ميتاً في الرقاق المجاور لا يبدو أن هناك جريمة في الأمر لا

أوراق.. إنه ناقص الأهلية..

وقال آخر وهو يحفف عرقه:

— ربما كانت أسرته تفتش عنه الآن وربما لم تكن له أسرة لا

نعرف..

هذه المحادثة تبدو مألوفة.. دنوت من الجنة وكشفت الوجه، ورتخت للحظة كف قلبي عن الحفصان هذه المرة بلا لون أوراق ولا شيء مجرد جنة يبدو السلام على وجهها. إنه الرجل ذو القميص الأبيض الرجل أنيب الشعر ملامحه البنية وأمه السري وشعبه الرفيعتين..

لقد مات. إنه صديق عم (عثمان).. لا شك في هذا..

وحبب انصرف المسعثن رحمت أفكر في معنى هذا كله. جنة زرقاء

تصل في الساعة التاسعة مساءً بعد هذا نخفي الجنة ثم تصل من جديد

غير زرقاء في الرابعة صباحاً..

صاحب الحنة بلا شك هو ذلك الرجل الذي كان جالساً في (الدورة)

ما معنى هذا؟

يقولون إن الميت يكون ميتا بالفعل أربعين يوماً قبل موعد وفاته الحقيقي في هذه اللحظات يجلس مع الناس ويتكلم وهو لا يعلم وهم لا يعلمون أنه ميت في وقت مقترص. حكيت هذه القصة ذات مرة لعم (عثمان) فصحت ساخراً، وقال إن هذه خرافات..

عندهم في التوبة يعتقدون أن هذه الفترة نصف يوم..

ثم ماذا؟.. لا أذكر كل ما قاله لي..

الآن لنعرض أن حاله الشفافية التي مرت بها محي هذه الموهبة العجيبة. لقد رأيت الرجل ميماً قبل أن يموت فعلاً بسبع ساعات أو أقل. وكانت العلامة التي فتحها هي أني رأيت مصوغاً باللون الأزرق بعد هذا فارق الرجل الحي رفقة وامضى أمسية مع رفاق آخرين. أمسية ادهق فيها صحته طبعاً أو دس حرره أكثر من اللازم من المحدرات. كل أصدقاء عم (عثمان) مدمو محدرات بالماسة هكذا أصابته تلك التوبة القلبية في الرفاق المخاور للمستشفى ووحده أحدهم وابلع الإسعاف.

هل هذا السيناريو ممكن؟

كنت عارفاً في هذه الخواطر في الخامسة والصف صباحاً عندما نرود الصوت الرهيب من جديد.. هذه من الليالي الصاخبة إذن..

على أني نصلب عندما رأيت المسعفي اللدين كان يدعوان الخفة

إحما المسعفان اللدان رايتهما أول مرة اللدان احصرا اجثة الرقاء. حفا إني أحق لماذا لم أهتم كثيراً بلوغهما الأزرق الذي لا شئ فيه؟ هل هما شبهان؟.. هل هما ميتان؟..

حاولت ألا أظهر حرعي بينما هما يقفان أمامي يحملهما الرهيب قال أحدهما:

«شاب دمه مياره مسرعة.. إنها ميتة شبعة»

لم أعلق..

فقط دبوت من الخفة ورفعت طرف الملاءة لأرى صاحب هذه الجثة

بالفعل كان اللون الأزرق يعمر كل شيء. والآن فقط تذكرت باقي ما قاله عم (عثمان) لي..

قال لي إن هؤلاء الذين يكونون ميتين فعلاً وهم لا يعلمون، يكسبون شفافية خاصة. إنهم يرون ما لا يراه غيرهم. يرون أولئك الذين سيموتون مثلهم في الساعات القادمة..

الآن أتذكر هذه الكلمات وألهم لماذا اكتسبت هذه الشفافية

إن الوجه الأزرق الراقد على الخفة كان وجهي أنا!

إن الوجه الأزرق الراقد على الخفة كان وجهي أنا

• • •

نيلي

الأوراق البيلى بديه العالم وهمايته هو قليل الأشياء وهو بعد الأشياء..

يقول (سليمان) وهو يشمر كمي القميص إلى منتصف ذراعيه
المفتولين

— أن لا أتكلم عن الغروب والشروق تلك الأوقات التي يحلو
للشعرء ان يتحولوا في الليل فيها أغلب هؤلاء (أفندية) لا يمارفون
مفاهيم في وسط القاهرة هؤلاء لا يعرفون أهم يتكلمون عن اللون
المضي أو القرمزي أنا أتحدث عن لحظة بعينها من النهار اللحظة
التي بصر فيها الليل أوراق بيلى فعلاً كما في الكب كما خلقه الله
تحدثت أنت عن الـل في الليل عندها أنت تتكلم عن الأسود تحدث
عنه عند الغروب عندها تتحدث عن الأرحواني لكي أتحدث عن
اليل حينما يكسب هذا اللون الأوراق البيلى الهدئ الدار تشعر
لخطيها أن هذا هو اليل حقاً وقد نزع عنه أفعلة التكلف والادعاء "

كنت أفهم ما يقول إلى حد ما الرسام التأثيري الباريسي الذي لم
يكس يرسم لحظة (سان لارار) إلا في ساعة معينة من اليوم لا قبلها ولا
بعدها، لأنه يبحث عن نوع معين من الإضاءة وبعد أن تتلاشى
الإضاءة التي يريدونها كان يحمل فرشاته ولوحه الرسم ويعود لغرفته في

(موبارناس) هل كان (مويه) أم (مايه)؟ ما رلت أحلط بين
الاصين..

كنت فاهم هذا وفهم سر تعلق امرء باللون الأزرق البيلي الهادي
حتى في سحر (الكابالا) ليهودي يرمر هذا اللون لطبقة الرابعة (رشيد
= الرحمة) أي أنه يرمر إلى الأب إلى الخال إلى العدل والخير
والاتزان الكوني.

كان (سليمان) يدرس في المدينة، لكنه كان يصبر على أن يعود إلى
(كهر الرياب) كل يوم وفي الساعة المختارة كان يتوجه إلى الليل
يمشي يصنع دقات على صفته أو يستغل داراً يحذف به مطارذاً الأزرق
البيلي الحمير هذا - ولأن هذه العادة ترفقه مد العبا - صارت له
كعاه عريضة تذكرتك بأكتاف المصارعين، وكان حجم ذراعه
جديراً بالتأمل.. فن تكسب أية مشاجرة معه أيذا.



بها الثالثة عصرًا في هذا الوقت من السنة..

هو يعرف الوقت بالضبط ويعرف أن الموعد يختلف في الشتاء
كان هذا وقتاً ميتاً حاملاً في الصيف تكون الشمس عمودية عمداً

تجعل الجميع يظنون من المشي في الشتاء يكون الطلبة والموظفون قد
عادوا لديارهم..

لا أحد على الكوريش إلا بعض العشاق من القرى المجاورة طلبة
عاب يظنون حولهم في رعب. هذا يختلف العشاق عن عشاق
القاهرة الذين يظنون لك بوقاحة وتحد. إنهم هنا حائفون مدعورون
مستعدون لتعرق في أية لحظة ولن يريد الأمر عني بصع حمل تقال
بصوت حميص وسرعة ثم يعود كل منهما لداره بحمد الله على نجاحه هذه
المرة.

يمشي (سليمان) في لغة متجهًا إلى السور تلك الفتحة التي احتارها
مئات المرات من قبل يعبر إلى الضفة الترابية المحددة يمشي قليلاً إلى
أن يقابل (محمد عصر) المراكبي العجوز الجالس جوار الشط لا يهتق
من الحشيش العيان الحمراء المبهكتان الصيفتان السبعة المبهدة
التي تشي بكيف صاحبها برغم هذا كان الرجل لطيف المعشر وهي
تلك لصعة التي تلاحظها في الحشاشين المسين حيث يجتمعهم الحشيش
أهدأ طبعًا وأقرب للتأمل

على مسافة مبرين يجلس (يوسف) رجل في الثلاثين من العمر لا
يعرف عنه (سليمان) إلا أنه يصطاد. يصطاد دائماً يصطاد للأبد
القبعة القماشية المعروفة على رأسه و(العلق) الذي يحوي شبتاً ماء،

والصارة الطويلة المتدلية في الماء أدنا لم يره قط يستخرج سمكه من الماء.. لكنه صار من ضروريات الليل..

يسأل (محمد عصر) عن الأحوال فقول هذا إنها (رفت) كالعادة وتصحك حتى يشحج صدره من فرط ما فيه من بدعم

ومحركات الوثائق الذي فعلها مئات المرات من قبل بزع (سليمان) حذاءيه ويلقيهما في القارب الخشبي، ثم يدفعه لينتعد مسافة عن الصفة ثم يشب فيه بعمقها من دون أن يطلب الادن من صاحبه لقد قصت العادة على الفصول أو التساؤلات، وقد اتفق هؤلاء القوم صمًا على أن يفعل كل مهم ما يريد دون أن يسأله الآخرون أو يسأله هو

ينتعد القارب ليتوغل في النهر الواسع حرر ورد الل نحيط به فيحترقها هذه اللحظة بالذات أثيرة إلى نفسه بحرك التجديف بألفة وثقة فاصداً تلك البقعة التي يعرفها حدا البقعة التي يرى فيها اللون الأزرق النيلي.

يجب أن نتوقف هنا لتؤكد بعض الحقائق لم يكن (سليمان) شاعراً ولم يكن يتمتع بثقافة خاصة فقط كان الداء يدعو كل يوم ليرى هذا الأزرق العظيم لم يكن يهتم بتحليل مشاعره، ولا يهتم بفهم ما يدور بخلده؛ فقط كان يريد أن تترك وشأنه وأن يسبح في هذه الرقعة إلى أن

يبدل اللون بالسمة في ولث لم يكن يتبدل، لكن عبي (سليمان) الحساستي كانتا تلمحطان الفارق، عندها لا يعود النيل بيله، إنما هو نيل الآخرين المتظاهرين بالشاعرية. نيل (الأفندية) كما كان يحبو له أن يدعوه..

وعندها فقط كان يعود..

أحياناً كان يتوقف بالقرب عند الصفة الأخرى. ويُخرج من الكيس البلاستيكي كتاباً من كتب الجامعة، ويحاول أن يقرأ شيئاً كان يدرس الحقوق وكان يكره الحقوقي لكنه كان يحاول بصميرٍ محض أن يفعل ما يصرص منه أن يفعله والنيحة لا شيء حروف رائقة ومعان لا تستقيم سرعان ما تزلق عيناه فوق الأوراق لتستقرًا على الماء ولا يبري متى ولا كيف يتغلق الكتاب ليعود إلى الكيس..

هل كان واقعاً في الحب؟ أنا لا أعرف لا أحد يعرف أراه على أنه هو نفسه لا يعرف إن تلك النظرات الخائبة الرائعة أبعد ما تكون عن نظرات إنسان يعرف نفسه..

إذن فم كان يفكر وهو ينظر للماء؟..

متى بدأت القصة؟ أنا لا أعرف هو لا يعرف لا أحد يعرف

الأزرق النيلي. بداية العالم وهمايته هو قبل الأشياء وهو بعد الأشياء..

تقول (عواطف) وهي تحكم ربط الإيثرب النيلي حول عنقها

— "قليلات يفهم ما أتكلم عنه أنا أتحدث عن لحظة بعينها من النهار اللحظة التي يصير فيها الليل أزرق بليلًا فعلاً كما في الكب كما حدث لله تشعر لحظتها أن هذا هو الليل حقاً وقد برع عنه أقعة التكلف والادعاء.."

لا يعرف سر هذا الداء الغامض الذي كان يدعوها إلى الليل في هذه الساعة من كل يوم إنها تعيش في (كهف الرباب)، ولم تكن تعاني كثيراً في البحث عن مأمورية ما تدفعها للحروح في هذه الساعة أن الوقت حول العصر على كل حال

كانت طالبة في الثانوية التجارية، ولم تكن رابعة الحمال لكنها كانت ممشوقة القوام ولو رأيتها وهي تمشي بسرعتها فاردة ظهرها جوار النهر لحيل إليك انها (إيريس) دائماً، وكأنها تفتش عن أشلاء (أوريريس) المتناثرة هنا وهناك هل ترى ثيابها الرخيصة؟ إنها فم حياً بهذه الدرجة من الرقة بالذات..

كانت ترى ذلك المراكبي العجوز الجالس يدخن والذي لا يبقى أبداً،

وذلك الصياد الذي لا يصطاد شيئاً أبداً ترى بانعة اللب وذلك الصي الذي يقف بكبرال ذرة لا يبيعها أبداً..

كنتها معانم مخطئها جيد، وهي تمشي حور النهر لعظيم دابة في الأزرق النيلي..

هاك من يعكسها من هؤلاء الفنية الذين تأخروا في العودة من مدارسهم تعرفهم من ثيابهم الموحدة والكب التي يحملونها. إنهم لا يفهمون مني فده وحيدة مثلها إلا معنى واحداً وكل واحد منهم يتمنى أو يريد أن يبدأ قصة ما، لكنها لا تأتي بهذه الاسعافات، هذا الدباب الذي يمنعها من النظر إلى الليل بلا انقطاع

تمشي على ليل وهي تنظر لدصفة الأخرى حين لو استطاعت أن ترمي نفسها فيه لو كانت لها حرية أن تتركب قارباً من هذه القوارب كما يفعل ذلك الفتى مقتول العصابات هاك لكن مجتمعاً كمجتمعها قاس جداً على المرأة ولن يفهمها أحد..

فقط الرجل يحق له أن يخرج متى شاء، ويعود متى شاء ويستأجر قارباً يجوب به الماء متى أراد ولو قرر في لحظة أن يتزع ثيابه لش في النيل لما أقامه أحد بالوقاحة..

الوقاحة الحقيقية هي أن ترى شيئاً غريباً في هذا..

كانت تنهد.. ثم تكمل جولتها وتعود.

حقاً هي لا تعرف سر ولعها باللون الأزرق البلي..

• • •

الأزرق البلي بداية العالم ومآبته هو قبل الأشياء وهو بعد الأشياء..

يقول (يوسف) وهو يضع في الشص دودة أخرى:

— أنا لا أتكلم عن ذلك البيل الذي تراه في (السما) بل (أحمد) و(مى) وهذا الغراء اسبل الذي يدعوي اليه هو الل عندما يبدو يلاً.. أزرق.. نيلاً.. حملاً صافياً..

كان يعرف أنه صياد غائب.. أسوا صياد عرفه في حياته..

لكن ما أن يأتي الوقت حتى يجد نفسه يحمل ديدانه وصارنه وبصع القعة القماشية على رأسه ويهرع إلى البيل يمر حوار عم (محمد عوف) العجور الذي لا يفيق من الخشيش والذي يتظاهر بأنه مراكمي محترف.. اسمه (محمد عوف)..

لقد أحبره هذا وأحبره أن الخفي يكون اسمه (محمد عصر) لا يهم.. عندما تصير في سبي لا يهم إن القبر لا يأتي باسم العظام

الراقدة فيه.

يقول عم (محمد):

— لا يمكنك أن تصطاد (بشاربنة) واحدة في هذا المكان وفي هذا الوقت السمك لا يأكل الآن يا بني يجب أن تنتظر الغروب وادهب هناك..*

ويشير بيده الراححة إلى بقعة ما يحفها ورد البس، ويمر به في هذه اللحظة قرب القى مفتول العضلات الذي يراه كل يوم

كم مرة قالها له العجوز؟.. وكم مرة لم يصغ له..؟

إن الصيد آخر شيء يريد.. كل ما يريد.. — مد دعومة أظفاره — هو أن يملأ عينيه بالأزرق البلي.. والصيد مجرد مرور واه..

تلك الصاة التي تأتي كل يوم غمر به.. معقولة ليست جميلة لكن جسمها لا بأس به أبداً.. الغريب أنه لم يشعر لحظة في حياته بأنه بحاجة إلى امرأة.. هل هو طيمي؟.. لا يعرف..

• • •

أنقل هنا كلمات عم (محمد عوف) أو عم (محمد عصر)

— كان ذلك اليوم يخنف لم يعد واحد منهم وقد بدأ البيل

يدبو..

لم أفهم ما يحدث إن عيني مريضتان سقيمتان، لكن كان يوسعي أن أرى ذلك الفتى (سليمان) الذي صار ربوبي الوحيد يحوب النهر بإصرار يدور بالقرب وسط حرر ورد النيل ثم يعود بلا مية ليهبط على الضفة..

في اللحظة ذاتها رأيت أن (يوسف) الصياد لم يجمع حاجياته ويرحل لقد كرمها حواره وراح يرمق النهر في إصرار غريب بعد قليل اقتربت تبث الفتاة التي تأتي هـ كل يوم وقت نظر للماء

لقد غربت الشمس الآن ولوت الماء بلون أرجواني غريب

لكن الفتاة لم تغير وقتها وبانعة اللب لم ترحل الكل يقف على ضفة النهر يرمق الماء بإصرار لم أفهمه..

ثم رأيت القارب يدبو أخيراً من الضفة فيرحل منه ذلك الفتى

صحت منادياً

ـ "تأخرت اليوم.. إن لنا حساباً خاصاً.."

لكنه لم يقل شيئاً فقط وقف مع الواقفين ينظر للماء

ثم رأيهم يمشكون بيدي بعضهم البعض لم أفهم معنى هذا فهم لا يعرفون بعضهم البعض إلى هذا الحد رأيتهم يخطون بخطى ثابتة نحو الماء..

لا تقاطعي أعرف أن كل ما أقوله يحوم حوله لشك مستقربون أن الخشيش أطار صوتي نعم هذا حذر لكى أقسم بشئ أبى الأكر أبى ربهم يمشون نحو الماء بلا تردد ولا خوف ولا أي شيء هل تريد أكثر أقسم لك أبى رأيهم يمشون فوق الماء يمشون يمشون.. وسط ورد النيل العائم..

وينظر حولي لهم أر أحدًا أشهده على هذا المظر المرعب لو كان أحد قريباً..

رأيهم الآن قد وصلوا إلى منتصف النهر ثم بلا مية مفارقه ولا كلمة واحدة رأيهم يفوضون في الماء يفوضون لا شيء سوى لفقايع لا شيء سوى دوامات الماء..

لقد اكتمل الظلام..

ولم أعد أئين شيئاً إلا هذه البقعة الموداء في وسط النيل.. والتي أقسم لك أنهم كانوا يقفون عليها منذ ثابتي

تقول إنني أخرف.. لا أملك كثيراً.. أنا نفسي أشك في عقلي الآن..

لا عليك أس ما قلت . اسمه ..

• • •

لكي لم أنس ما قال ..

لم أنه قط وما رلت أعقد أما لحظة عذرة من صفاء الوعي جعلته يرى ما راد هؤلاء القبة كانوا يتلقون نداء النهر مد أعوام فما معنى هذا؟ ثم جاءت اللحظة وسرعان ما انجهوا إلى الماء ليفوضوا فيه بلا اتفاق مسبق ولا ترتيب.

التحول ..

هذه هي الكلمة الصحيحة لقد تم أعدادهم لشيء كهذا طيلة حياتهم كان هذا النداء الذي لا يعرفون كنهه ورائفهم عدة أعوام ثم تم التحول وهكذا انتقلوا إلى طور آخر من حياتهم طور لا يعرف ما به .

دودة القز تلتهم أوراق التوت ولا تعرف السب وفي لحظة معينة تبصق خيوط الحرير لتدخل في طور الشرقة

ما اليد الحفية التي اختارت هؤلاء ولأية أغراض؟ ..

عشرة أعوام أو أكثر من الإعداد لماذا؟ هل ليموتوا غرقاً أم ليكونوا أبناء النهر؟

إلام صاروا؟ .. ولماذا لم يجد أحد جثثهم قط؟

• • •

عم (محمد عوف) أو عم (محمد عصر) يجلس عند منتصف الليل جوار النهر ..

إن الجو بارد لذا أعد لنفسه هذا (الخص) الذي يقيه شر البرد، وهو هناك جالس يشرب الشاي ويدخن الجوزة .. ويسعل ..

بالنسبة له لا شيء يهم رأى هذه الظاهرة أم لم يرها لا شيء يهم ..

القبر لا يبالي إن كانت العظام الراقدة فيه قد رأت عجا أم لا، كما لا يبالي إن كان اسم صاحب العظام (محمد عوف) أو (محمد عصر) .

والخشيش صديقه الدائم لقد دخه قبل أن يرى ما رآه فلم يستوثق منه اليوم يدخه بعد ما رآه فسي أكثره لكنه سيعرف الكثير بعد دقيقتين . بعد دقيقة واحدة .. بعد ثوان ..

إن الماء يتحرك بجوار الصفة..

يخيل إليه أن شيئاً يرتفع من هناك..

الآن يرى بوضوح على ضوء النيران ذلك الشخص الخارج من الماء، والذي ابل شعره واحتلظ بالأعشاب، وانضجت ملامحه كالغرقى..

لكنه الوجه ذاته.. لن ينساه أبداً..

(سليمان) يقف هناك ويعد يده له وبصوت مبحوح حافت لم يستعمله منذ زمن يقول.

— تعال يا عم (محمد)، لا تخف سأريك شيئاً لم تره من قبل *

إن الماء لا يبالي بأسماء الجثث العارقة فيه، إن كانت (محمد عوف) أو (محمد عصر) كما أن الحشيش جعل جسدك واحاً متراجفاً عاحراً عن الفرار أو الصراخ أو حتى إلقاء الأسئلة..

لا تخف أيها العجوز..

لا تخف..

• • •

بنفسجي

لأن عيني أختها (ميادة) بنفسجي..

لا يمكن أن تصور مدى تباين الآراء حول هاتين العيبي كأمنا سافش
قصة الشرق الأوسط إن أبها يؤكد أنهما رفقان (مراد) حبيها يقول
إنهما كحليتان.. أستاذ (فكري) قال إنهما سوداوان..

(مها) فقط تؤمن بقبأ أن عيني أختها بنفسجيتان..

الكل يصحك الكل يهملها بالسخر الكل يتهملها بالهديان نكها
والله نأ نقول

فيما بعد قرأت أن عيني (تشيكوف) الكاتب الروسي العظيم كانت
علامتي استعهم بالنسبة لكل من تعامل معهما لم يتفق أحد قط على
لوها هذا يعني أن الأمر وارد ثم أعين لا يعرف أحد لوها يقبأ



لا تذكر مني لاحظت هذه الحقيقة..

رما لاحظتها يوم جاء (مراد) لدارها أول مرة جلس في الصالون
متظاهراً بالأدب بصفي لكلام الأب الذي لا ينتهي عن مستقبل المنطقة
من الغريب أن العبقري الذي يفهم كل طلائع السياسة والدين والاقتصاد
والقانون والطب ليس بعدا إنك تقابله في كل مكان تقريباً. إنه حارك

إنه صديقك . إنه أبوك . إنه أول واحد تلقاه في الشارع لو خرجت الآن .
إذن أين الحمقى في عالمنا ؟ . إهم المكشوفون رسميًا هذه الأمور

كان (مراد) يتظاهر بالإصغاء ويعتصر كأس العصر . كم تحب هذه
البسمة نصف المهذبة نصف الساحرة على شفاهه والتي تراها كثيرًا أثناء
عمله في الإدارة صباحًا ..

لكن الابتسامة تلاشت عندما دحبت (ميادة) صافحته وجلست جوار
أيها . وبك الرائحة الفواحة تتصاعد منها كان وجودها دانه ملموسًا
كأها طيف طيف عريب ساحر وقد تساءلت (مها) في ذهنه عن
السبب الذي يجعل أختها تتأق بهذا الشكل - الذي لم تره قط - لأن
عريبًا جاء لأختها

تلاشت الابتسامة وتظاهر (مراد) بعض الوقت بأنه مهمك لا يلاحظ ،
ثم فجأة بدأت عيانه ترفقان نحو (ميادة) هذه النظرة تعرفها حذاً لى
تخضع فيها ..

الآن صار يتكلم ببطء وبضغط على كل حرف أحيانًا يسمى ما كان
يريد قوله . وقد خرجت (مها) لشأن ما ، ثم عادت لتصبطه ينظر إلى (ميادة)
بشأت وإلراط يسأ الأب يثرثر بلا انقطاع . نعم هو ينظر لها وإن كان
يعطي انطباعًا أوليًا بأنه ينظر نحو الأب . تذكرت الشاعر الأحول (أبو

العناء) الذي كتب عن موقف مماثل:

"حدث الله اد بلاني بحبها * على حول يعنى عن الطور الشر

نظرت إليها والرقب بظننى * نظرت إليه فاسترحب من العسر"

هكذا جلست (مها) معكزة المراح ، فلو كانت هذه قصة مصورة لخرج
الدخان الأسود من رأسها كناية عن العجز هذه الأفعى قد قررت أن
تهدأ أجل ليلة في حياتها حتى هذه اللحظة .

كانت (ميادة) حائرة وقد أشرق وجهها كالشمس ، وكانت تتابع كل
حرف يقوله (مراد) وهي توشك على الانهيار صحنًا أو تؤمن على كلامه
كالإماء يسأ هي - (مها) - جالسة كالصيف الرائد لا دور لها على
الإطلاق في أي شيء ، ولو جاء رائتر من المريح لقل لك إن (ميادة) و(مراد)
حييان يجلسان في وجود عاذلَسَن قيلي الظل ..

عندها أدركت أن عيني (ميادة) بنفسجيان ..



كان هذا الشيء يوهج على الأرض بلا انقطاع .

وانحنت تلتقطه وتمحصه ..

ربما كان ورقة.. لكنها أقرب إلى رقاقة إلكترونية كالتي تراها في الدوائر
المتكاملة دوائر كهربية رُسِمت رسمًا على دعامة من المعدن وكان لها
بريق غريب..

قالت لأختها:

— "ربما كان من الحكمة أن نتخلص منها سمعت أن هذه الأشياء
تتفجر"

قالت لها وهي تلمس الرقاقة في حقيبتها:

— "لا أعرف ربما كانت مهمة أنا لم أتعود التخلص من شيء لا
أعرفه"



في الصباح قالت (مراد) في الإدارة حيث كان عاكفًا يصلح ثغرة في
"برنامج الكمبيوتر الذي صممه.."

قالت له في فتور:

— "علام التفتنما؟"

قال وهو يواصل قرق الماتيج:

— "لم تنق كان هذا هو التعارف. الخطوة الأولى الخطوة الثانية هي
طلب يدك رسميًا في وجود أهلي.."

ثم حك رأسه في دهشة وسألها:

— "غريب.. حسبت أنك تابعت المحادثة كلها.."

قالت في شيء من السخريّة المريرة:

— "(ميادة) تابعت كل شيء.."

هل يعتمد أن يعيظها أم هو فعلاً أبله إلى هذا الحد؟ لقد قال في الفتان
وقد توقف عن الكتابة:

— "أحسنت هذه طريقة فعلاً والأغرب أن عيبتها كحليتان! لم أرى
حياتي شخصاً له عيان بهذا اللون!"

كانت تعرف ولع الرجال الوحشي بإثارة غير النساء اللاتي يحوهم
لهذا قررت ألا تحقق له أي انتصار وقالت في برود:

— "أنت دقيق الملاحظة لم أنظر في عيها قط في حياتي لكنك رأيت
هذا وبرغم المسافة بينكما.. عيقرني فعلاً!"

هز رأسه وواصل الطرق على الماتيج..

لكها قات في نفسها إنه أحمق. إن لون عيني (ميادة) بفسحي

يكفي هذا. هذه لن تكون المرة الأولى التي تظهر فيها (ميادة) بكل شيء بتقدير المرسين وحب الأبوين وهيام المعجبين ونصديق المشككين. كل شيء

هناك قصة لـ (مارك توين) تخكي عن أخوين أحدهما مهذب متواضع قانع، والآخر وعد صاحب مرعج. هذا كانوا يعطون الأول أقل القليل من كل شيء (لأنه ملاك)، بينما الآخر كان يظهر بأفقر الثياب وأعلى الألعاب (لأنه وفح يصعب إرضاءه). الحصة أن هذا كان سياريو حياته مع (ميادة) تقريباً

الاب كان يدل (ميادة) كثيراً لأنها الأصغر ولأنها تشبه المرحومة أمها حتى في لون العينين الأزرق. وحتى سن العشرين كان يذهب لكلتها ليصحبها في العودة، ربما (مها) فديرة لا يحشى عليها المرء، لذا كانت تواجده حتمها على درحات إحافلة كل يوم وتلقى ألف كوع في وجهها

أما حينما تمشي الشقيقتان معاً، فقد كانت (مها) تعرف أين ينظر الجميع ولماذا. فلولا التهذيب لطلب منها الناس أن تنحني قليلاً كي لا تحجب جمال أختها..

في تلك اللحظات كانت تدرك أن عيني (ميادة) لوتهما بفسحي.



مضى قرونت أن (ميادة) لم تعد كما كانت؟

هذا أيضاً من الأمور التي يصعب إعطاء رأي دقيق فيها. أنت تفهمنا بأن ابنك الطفل البريء رفيع الصوت صار مرافقاً حش الصوت والوحدة، فلا تستطيع أن تعطي تاريخاً محدداً حدث فيه هذا. التعيرات التدريجية تجعل تحليل التاريخ مستحيلاً..

الملاحظة الأولى هي أن عيني (ميادة) ليست بفسحيتين دائماً. لا شك في هذا. من السهل أن تقول أنها كانت واهمة من البداية. لكن لا هي وانفقه من حواسها حيناً. لون عيني (ميادة) صار بفسحياً ثم لم يعد كذلك، ولا مجال هنا للكلام عن عدسات ملصقة..

أحياناً أخرى تنظر لـ (ميادة) فتحد أنها كانت حمقاء. عيني الصاة بفسحيان بقوة. وفي كل مرة تكلم نفسها عن الأعباء الصوء العين البية الفاتحة تخضر أحياناً أو تبدو ذهبية في أحيان أخرى..

لماذا صارت (ميادة) تاكل أقل فأقل؟ هي لم تكن شرهة لكنها لم تكن فرائشة قط..

ثم عادة الكلام أثناء النوم. إن الصاتين تامان معاً في عرفة صغيرة حميمة هي نمودج لأية غرفة فتيات في مصر. كانت (ميادة) تمام كالقبر فيما

سبق.. بلا أي صوت.. لا شخير.. لا صليل من الأنف.. لا شيء.

في الفترة الأخيرة هي تكلم أولاً بدا في الضغط على أنفها محدثة صريراً بصوت الذي يحطم اعصاب (مها) فعلاً ثم بدأ الكلام لغة لا يمكن فهمها تقول أنتاء اصوات غليظة اصواتا حشمة اصواتا خفيفة . ضحكات عذبة.. ضحكات هائجة..

ثم...

من حديث عن موضوع الضوء البصري الذي يعبر الحجرة" نعم احباً نهض (مها) من نومها مدعورة لتجد ن لفرقة مسح في ضوء بصري ذهب شيء بدكرت بالغروب وقل ان تصرح أو تحاول الفهم يروى هذا التأثير وتستعيد الحجرة بظلام الخشب السابق لقد فسرت الأمر أكثر من مرة بالعباب الضوء أثر الظلام على عين كانت مدممة ثم فصح فجاء مثلما تنظر لشمس برهة من ثم تطاردك في كل ركن مقصود من دارك.

هذا بالطبع لو تغاصبنا عن جلسات (مادة) وحدها في الظلام تهرأ

نعم هذا صحيح لقد صحت (مها) أكثر من مرة ليلاً لتجد ان (ميادة) تجلس في الظلام الدامس وعنى ححرها كتاب ودات مرة سألها

عما تفعله بالصبط فقالت (ميادة) في ارتباك:

— "لا شيء. أردت مراجعة نقطة في دروس غد ولم أشأ أن أزعجك!"

مق اتخذت قرارها؟

هذا أيضاً من الأشياء التي لا يمكن أن نحدد لها تاريخاً

لقد صحت ذات يوم وقررت أن (ميادة) ليست هي (ميادة)

هذا هو الصبر الوحيد والمقبول..



لعل هذا حدث بعد اليوم الذي جرحته فيه (ميادة) نفسها وهي تقطع برتقالة في المطبخ وهرعت (مها) مدعورة تحاول أن تساعد. لكن هذه ركضت إلى الخوص مرتبكة وراحت تغسل يدها من الدم دم؟ لربع ثانية استطاعت (مها) أن ترى السائل المتدفق، وعرفت في فرة نصها انه ليس دماً على الإطلاق.. إن لونه بنفسجي..

لم تستطع أن تصارح أحداً بحواظرها . إن الإجابة حرة أنت هسيرة يا عزيزي. أما الإجابة الأسوأ فهي أنت تحفدين على (ميادة) لأنها تهور بكل شيء وأنت لا..

هكذا قررت أن تبطل غواطرها وتصلت..

لكنها قررت أن تفتش حاجيات (ميادة) جيئاً..

ذهبت (ميادة) إلى كلتها في الصباح، وكان على (مها) أن تفرغ في

الإدارة لكنها قررت أن تأخذ ساعة تأخير لهذا اليوم..

وحدها في الغرفة هرعت إلى حراة نيب فأنقبت عنها نظرة حيرة

كانت تعرف كل ثوب وكل شيء هنا ثم راحت تمشي في صناديق

الأوراق التي نهي فيها (ميادة) (كورها) منذ الصبا. فوافقة عربية الشكل،

وردة مخمفة، بطاقة معايدة عليها قلم جميل.. الخ

لا شيء..

ثم هرعت إلى المكتب ففتحت وراحت تنقب..

لحظة هذا هو الكتاب الذي وحده أكثر من ليلة بين يدي (ميادة)

لا يوجد كتاب آخر بهذا الحجم وهذا القطع مدت يدها تفتش بين أوراقه

فلم تر إلا كتاباً قراسياً عملاً يشرح هندسة الاتصالات..

لكنها في غايته وجدت شيئاً تلك الرقاقة التي وجدتها في فريتهما

• • •

"ما هذا الضوء الذي يوهج للحظة واحدة خلف الشجرة؟"

— "لا أعرف يا (مها).."

— "إذن تعالي نقرب.."

— "يجب أن يكون شيء هبط من السماء هل تعرفين كيف هبط تلك

القبائل وتبحر في السماء أحسنى أن يكشف أنه لعمري"

— "كلام فارغ.. هل تمرين شيئاً؟"

— "لا لكن خطه هذه الرقاقة البراقة لا أعرف سبب وجودها في

قربة كهذه وسط روث الدابة هذه هي الشيء الذي هبط من

السماء.."

• • •

إن الرقاقة الآن في راحتها.

لا يوجد ما ينبغي أن تكون هي الشيء الذي تسهر (ميادة) تنامه ليلاً

تسربت حراره حسنها إلى الرقاقة فراحت تسخن وتسخن ببطء

لكن بشكل مؤكد إنها تنوهج بذلك الضوء البهيج العريب الذي

كانت تراه في الغرفة ليلاً..

انثامها اطلع فقلقت بالرفاقة لتسقط على الفراش، ثم ابتلعت ريقها وراحت تلهث..

هذه الرفاقة لعنة.. لا شك في هذا وهذه اللعنة قد مست (ميادة) فجعلتها تنفخ.. لكن.. لعنة؟..

لعنة؟

غريبة هي تلك اللعنات التكنولوجية التي تشبه الدوائر المتكاملة..

ثم خطر لها شيء آخر..

(ميادة) هي التي أسرعت أولاً لترى ما سقط خلف الشجرة.. هي رأت أفلاماً كثيرة للخيال العلمي، ورأت عشرات القصص التي يتم فيها الاستبدال في لحظة.. فجأة لم تعد (ميادة) هنالك.. إما أنها صارت قشرة تضم ذلك الشيء الذي جاء من أجواز الفضاء، وإما أنها تلاشت وهو حل مكانها.. ثم خرج من وراء الشجرة ليقول: "لا.. لكن لحظة.. هذه الرفاقة البراقة.. لا أعـ... الخ.."

وفي هذه الحالة لابد أن الرفاقة كانت هي سفينة فضاء ذلك الكائن، أو لعلها جهاز اتصال خاص به قادر على نقل كيانه إلى العنـ الذي يمكـ لها..

هل هذا معقول؟

غير معقول.. لكن ما يحدث لـ (ميادة) غير معقول كذلك.. أنت تحتاج لأكثر التفسيرات سخفاً كي تفسر أكثر الظواهر غرابة..

ماذا تفعل؟.. لا تستطيع أن تقتل (ميادة) ببساطة لأن (كائنات فضائية يمكن فيها).. لكن هناك حلاً أقرب إلى المنطق وسوف تنفذه هذه الليلة..

• • •

كنت أنا الطبيب النفسي الذي تولى علاج (مها)..

قلت للأب والأخت (ميادة) وأنا أخط آخر ملاحظاتي في دفثري:

— "القصة بسيطة جداً ونسمعها مئات المرات.. إن شعورها بالظلم وبأنها لا تنال ما تستحق أدنى بعقلها المش إلى جنون اضطهاد كامل.. هكذا ولدت هذه القصة عن أختها التي ليست أختها.. ثم هذا المشهد الدرامي الأخير.."

قال الأب وهو يرتجف:

— "هل تسمح لي بالتدخين؟"

هزرت رأسي في ضيق أن نعم، فأشعل لفافة تبغ بيد راجفة وقال:

— "لا أتصور ما حدث.. أصحو في الرابعة صباحاً لأصلي الفجر؛ فأجد (مها) واقفة في المطبخ تحاول حرق تلك الدائرة التي تحتفظ بها أختها لأسباب دراسية.. وحينما حاولت منعها راحت تصرخ في هستيريا.. تقول إن (ميادة) ليست (ميادة) وإنما قشرة يتخفى فيها كائن فضائي.. لقد جاء الجيران واحتجنا إلى تقييدها لنحملها إلى المستشفى.. لكنها لم تكف عن الصراخ لحظة.."

قلت وأنا أكتفم أنفاسي تفادياً لكل هذا الدخان:

— "كل هذا يحدث كثيراً جداً.. فقط كل إنسان يعتبر حاله فريدة.."

سألني في لحظة:

— "هل أنا السبب؟.. هل تعتقد أنني فرقت في المعاملة بينهما حقاً؟"

قلت في برود:

— "يصعب علي أن أحكم ما دمت لم أر.. لكن الإحصاءات تؤكد أن هذا هو الحال لدى 80% من الآباء.. لسبب ما يظفر أحد الأخوة بكل شيء.. وهذا يوقع الآخرين في مصيدة الاحتياج للحب والعدم الثقة بالنفس أبداً.. أنا أؤمن أن كل مرض نفسي جاء من خطأ تربوي أو خلل وراثي.. لكن أرجو ألا يكون أوان العلاج قد فات.."

تأهب للنهوض فقلت له:

— "سوف تبقى هي في المصحة كما اتفقنا وإن كنت أفضل أن تبقى أختها معها.. هذا مهم للعلاج.."

هز رأسه موافقاً.. كان يوسعه الآن أن يوافق على أي شيء.. إن الإحساس بالذنب هذا..

مرت دقائق بعد انصرافه، و(ميادة) تجلس أمامي صامتة تعبت ببقايا لعاقة التبغ التي كان أبوها يدخنها.. بعد قليل قمصت فأغلقت الباب وأضأت النور البنفسجي المريح للعين لأنه يذكرنا بوطننا..

قالت لي:

— "سوهاك.. إياهاوه سيلا تنمو كوالمار شين كاه.."

فقلت لها في حزم:

— "سوف نتكلم العربية.. كفك ما افترفت من أخطاء حتى هذه اللحظة.."

ثم سمحت للون البنفسجي أن يتألق في عيني وقلت لها:

— "كنت سريعة الخاطر عندما اقترحت اسمي لأعالج (مها).. إنها الآن في

قبضتنا ولن تفر ومهما تكلمت لن بصدقها أحد.. لكك كنت بلهاء عندما
سمحت لعينيك بأن تألقا باللون البنفسجي.. حقاء عندما رحت تخاطبيني
عبر الشريحة في الظلام.. لقد كشفت عن أشياء كثيرة جدًا.."

بدا عليها الحرج في الضوء البنفسجي المريح للعينين، فقلت لها:

— "لقد تم تحولنا منذ شهرين.. هناك خمسة منا الآن في (مصر) وعشرون
في (الولايات المتحدة) وخمسة في (فرنسا) وأربعة في (اليابان).. يجب أن
نظل في دائرة الظل إلى أن يزداد عددا أكثر فأكثر وعندها نظرب
ضربتنا.. ليس قبل ذلك.. صدقني"



د. أحمد خالد توفيق

د. تامر إبراهيم

قوس قزح

أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر.. أزرق.. نيلي.. بنفسجي..
اليوم نحكي لك كيف أن قوس القزح قد يكون مخيفًا...
كيف تصير الألوان مربعة أو على الأقل تقديرًا ليست كما
وجدت في خيالات طفولتنا...
أحمر.. برتقالي.. أصفر.. أخضر.. أزرق.. نيلي.. بنفسجي..
قوس قزح...
وسبع قصص تحكي عن الألوان...
سبع حكايات عن قوس قزح...

الطبعة الأولى: ٢٠٠٧

الناشر: دار ليل للنشر والتوزيع

٥